

[٦٨٢]

غازلتُ في شَطِيَّه أُبـكار المُنَى عَصَرَ الشَّبَابِ
والظَل يَبْدُو فَوْقَهُ كَالْخَالِ فِي خَدِ الْكَعَابِ
لَا بَلْ أَدَارَ عَلَيْهِ خَوْ فَـ الشَّمْسِ مِنْهُ كَالْتَّقَابِ
مِثْلَ الْمَجَرَّةِ جَرٍّ فِيهَا ذِيْلُهُ جَرَّ السَّحَابِ

وقال في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

وله في تمثال
نعل النبي

سَجَّامٌ لَعَمْرِي أَدْمَعُ وَسِجَالٌ لِأَنَّ عَزَّ مِنْ نَعْلِ الرُّسُولِ مِثَالُ
وَهْلٌ يَمْلِكُ الْعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِهَا سَوَى خَلَّى عِدَاهُ عَنْ هُدَاهُ ضَلَالُ
ومنها :

مِثَالٌ إِلَى نَعْلِ الْمُطَهَّرِ يَعْتَزِي فَأَعْرَازُهُ لِلْحُسْنَيْنِ مَنَالُ
أَقْبَلَهُ شَوْقًا تَمْلِكُنِي لِمَا حَكِي وَشَهِيدِي لَوْ يَفْهَمُ قِبَالُ
وَأِلَى اشْتِرَاكِ فِي التَّزَامِ شِرَاكِهِ وَحُسْنِي مِنْهُ عَصْمَةٌ وَمَنَالُ
وَمُعَقَّدُهُ مِمَّا عَقَدْتُ بِهِ الْهُوَى فَلَا صَحَّ عَزَمِي إِنْ صَحَّ لِي بَالُ
مِرَادِي مِنْ تَمْرِغٍ شَدِيدِي عَلَيْهِ أَنْ تَسِحَّ مِنَ الرُّحْمَى عَلَى سِجَالُ
وَمَنْ وَضَعَهُ فِي حُرٍّ وَجْهِي وَرَفَعَهُ لِقَمَّةٍ رَأْسِي أَنْ يَعْزَّ مَا لُ
فَأَحْظَى بِحَظِّي مِنْ جِوَارِ مُحَمَّدٍ وَهَلْ بَعْدَ تَنْوِيلِ الْجَوَارِ نَوَالُ

وله في ذلك المعنى أيضا رحمه الله :

لِمِثَالِ نَعْلِ الْمُصْطَفَى أَصْفِي الْهُوَى وَأَرَى السَّلَوى خَطِيئَةً لَنْ تُغْفَرَ
إِذَا أَصَاحَفَهُ وَأَمْسَحَ لَانْمَا أَرْكَانَهُ فَمَعْرَازًا وَمَوْقَرًا
اعْتَرَاظِي فِي جِهَارِ تَذَلُّي لَجَلَالِهِ أَثَرًا بِقَلْبِي أَهْ

إن شاقني ذاك المثال فطالما شاق الحب الطيف يطرق في الكرى
لى أسوة في العاشقين وقصدهم لثم الطلول لأهلين تذكر
وبكانهم تلك المعاهد ضلّة تحت الظلام على الغرام توفرا
أفلا أمرغ فيه شبي رايدا وأريق دمي وسطه مستبصرا
ثقة بآرائى من الخيرات في شغفى بنغلى خير من وطى الثرى

[٦٨٣]

وقال في التشوق إلى الضريح الشريف على الدفين به صلوات الله وسلامه :

وله في التشوق إلى

الضريح النبوي

لَوْ عَنْ لى عَوْنٍ من المقدار لهجرت للدار الكريمة دارى
وحلت أطيّب طينة من طيبة جارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للأبصار لَمَّا استثار حفاظ الأنصار
يا زائرين القبر قبر محمد بشرى لكم بالسبق في الزوار
أَوْضَعْتُمْ لنجاتكم فوضعتم ما آدكم من فادح الأوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذى حملتكم شوقا إلى المختار
أدوا السلام سلّتم وبرّده أرجو الإجارة من ورود النار

[استطرد لما قيل في نعل النبي صلى الله عليه وسلم]

قلت : وإذ جرى ذكر النعل النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، فلا بد أن نورد جملة مما قيل في مثالها على جهة التبرك ، والتوصل بصاحبها إلى الله سبحانه ، أن يُفرّج عنا بجاهه كُرب الدنيا والآخرة ، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة ؛ وظفروا بالمقام الأسنى ، وفازوا بالزيادة والحسنى .

لمحمد بن فرج
في نعل النبي
نحسا لأبيات
أبي الزبيع
ابن سالم

فمن ذلك قول الشيخ أبي عبد الله محمد بن فرج، نحسا لأبيات الإمام الشهيد
أبي الزبيع بن سالم الكلاعي، رحمه الله، التي على رويها وقافيتها سلك ابن
الأبّار، رحمه الله، في الأبيات المذكورة آنفاً :

خبالٌ عرا ما إن جنّاه سوى النوى
نوى من نوى من كشف بلاوى ما نوى
فيا مُنكرًا ما قد عراني في الهوى

«خواطرُ ذى البلوى عواسرُ بالجوى ففى كلّ يوم يعتريه خبالٌ»

سمعتُ اسمه الأعلى الشريف المشرقاً
نخيلتني يعقوب ذكر يوسف
ومن شيم الصب المتيم ذى الوفا

«متى يدع داعر باسم محبوبه هفا فيه تاج بآبِال وَيُكْسَفُ بال»

[٦٨٤]

رعى الله صبّا بالهوى نفسه سمّت
له آية فى الحب بالكتم أخكمت
فما كم يُلج من حبه أثر صمت

«وإن ير من آثاره أثرًا همت له من غروب المقلتين سجال»

فيا نفسي الجلى دجاها هلالها
أما إنه نور البـدور كالها
ألا فاعذرى نفسا تحن خالها

«كحالى وقد أبصرت نعلا مثالها لنعل الرسول الهاشمي مثال»

ويأبى الرانى إلى مُفَنِّدَا
وقد كدت لولا نهى حى لِأَسْجُدَا

هوى وجوى إن يبيل دهره تجددا
 «عرانى ما يعزرو الحب إذا بدا لعينيه من معنى الأحبة آل»
 ذكرت به عضرا مضى ومعاها
 فنوديت من نفسى نداء مساعدا
 وحدت فعاود لثمه تدع واجدا
 «فقبلت في ذاك المثل معاودا أرى أن ذلى في هواه جلال»
 وشبهته صفحا ونفحا حديقة
 مفتحة الأزهار غدا أنيقة
 سقتها غواد قد غدوت غديقة
 «ومثلته نعل الرسول حقيقة وإنى لأدري أن ذاك محال»
 فيا جاهلا داء الحبين والدوا
 غويت ولا تدري فلا كان من غوى
 أنكرتم المثل في حالة النوى^(١)
 «ومن سنة العشاق أن يبعث الهوى مثال ويقتاد الغرام خيال»
 تساوت معانى الحب في كل مقصد
 فمن مقلة عبرى وجفن مسهد
 وبرح وتهيام وشوق مجدد
 «فلا فرق إلا أن حب محمد هدى والهوى فيمن عداه ضلال»
 انتهى .

(١) في هامش ص عن نسخة أخرى : « أنكر عمرو الحب ... الخ » .

وله في مدح النعال
على حروف
المعجم

ولحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه ، وتقبل بكرمه ورحمته منه ؛
[قطع] ^(١) على حروف المعجم ، في لزوم ما لا يلزم ؛ وسماها بالقطع الخمسة ،
في مدح النعال المقدسه .

قال رحمه الله حسبما نقلت من خطه :

وآثرت التخميس على التعشير ، ليكون أسرع لحفظها ، وأبرع للفظها ؛
وأیضا فوجود خمس من القوافي في نظم لزومي أو نثر ، أهون على الفكر من
وجود عشر . هذا وإن كان اللسان العربي فصيحاً فسيحاً لا يضيق ، ولا يكاد
يخرج عنه لسان كل فريق ؛ لكن ليس من شرط المطالعه ، أن يحفظ الغريب
من الكلام كل من طالعه ؛ والله سبحانه أسأل أن يجعلها من القربات التي
تنفع ، والوسائل التي تشفع ، والتأثير التي تذود كل سوء في الدارين وتدفع ،
وصلى الله على الشفيع المشفع ؛ وسلم تسليماً ، من آفة الانفصال سائياً .

قافية الزمزم

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| أتمثال نعل كان يلبسها الذي | إذا عُدَّتِ الأرسال ليس له كفء |
| أبو القاسم الأسمى الذي وطئ السما | بأخصه لئلا فشرها الوطاء |
| أقبل في طرس حواك كأني | عليل وفي تقبيل شكلك لي البرء |
| أنا المرء بالآثار ممن هو يئسه | قنعت وقد يخطي إذا قنع المرء |
| أأحمد لا يهوى الفؤاد سواك ما | تقدم عود الشيء في الرتبة البدء |

قافية الباء

بنفسي مثال النعل نعل محمد
نبي الهدى الخصوص بالقرب والحب

(١) زيادة يقتضيه السياق .

بدالى فكان البدر جلى بنوره غياهب أشجان تراكم فى قلبى
بكت مقلتى شوقا للابىها وهل بمطفئة نار الآسى دمعته الصب
بعث به شخصا من الأنس مبيتا فبشرنى بالقرىب منه على قرىب
بموطنها قد شرف الله تربة عليها مشى فالتبر يحسد للترىب

فافية الناء

تلوت وقد أبصرت مثلاً لنعل من تميز بالوصف الشريف وبالنعمة
ترفعت من نعل بأخص مرسل قد أنقذ من شر الطواغيت والخبث
تقدست الأرض التى قد مشى بها عليها فصار الفوق يغبط للثخت
تمنت لوأتى ظفرت بتربها فرغت فيه الخلد للحين والوقت
تمنى صبى عاشق دنفى جوى معنى كئيب دأبه حفظ ذى الست^(١)

فافية الناء

نمار الأمانى قد جنى الطرف إذا رأى مثال نعال المصطفى من أولى البعث
نراها ومن أعلاه طاب نسيمه وما أنا فى هذى اليمين بذى حنث
نربا السما ودت لتنقل بانثرى إليك فلم تنقل فهان فى بث^(٢)
نويت به يا طيب فهو كمسكة يفوق شذاها المسك فى الطيب والمكث
نواى يامن شرفت بلباسه على مدحها تأمين خوفى فى البعث

فافية الجيم

جلت أيا نعلأ بأخص سيد إلى حضرة القدس العلية عارج

(١) يريد الصفات الست ، المذكورة فى البيت .

(٢) فى الأصول : « ذوبت » . والتصويب عن هامش ص .

جُبِلْتُ عَلَى حُبِّ لَه فَمَتَى بَدَا مِنْ آثَارِهِ شَيْءٌ تَشُورُ لَوَاعِجِي
جَنَى الْأَنْفُ مِنْهَا زَهْرَ رَوْضٍ إِذَا انْبَرَى نَسِيمُ شَدَاهُ بَدَّ عَرَفَ النَوَافِجِ
جَبَرْتُ بِهِ صَدْعًا جَنَاهُ الْهَوَى وَمَا شُغِفْتُ بَعْنَجِ الْخَوْدِ ذَاتِ الدَّمَالِجِ
جَزَى اللَّهُ عَنِّي الْقَلْبَ خَيْرًا فَإِنَّهُ تَعَلَّقَ بِالْهَادِي لِأَهْدَى الْمَنَاهِجِ

قافية الحاء

حَظِيَّتِ أَيَا نَعْلًا بِأَخْصِ مَرَسَلٍ قَدْ أَنْزَلَ رَبُّ الْعَرْشِ فِيهِ أَلَمْ نَشْرَحْ
حَلَّتْ بِسَاطِ الْقُدْسِ حِينَ عُرُوجِهِ لِيُوضِحَ فِي الْمَسْرَى لَهُ اللَّهُ مَا أَوْضَحْ
حَلَفْتُ: لَأَرْضُ قَدْ وَطِئْتُ تَرَابَهَا لَكَلْمَسِكَ مَفْضُوضًا أَمَا إِنَّهُ أَفْوَاحْ
حَلَّتْ نِطَاقَ الْكُتْمِ لَمَّا رَأَيْتُهَا فَصَرَّحَ مِنْ حُبِّي اللِّسَانُ بِمَا صَرَّحْ
حَبِيبِي الرَّسُولُ الْمُصْطَفَى وَمِنْ أَجَلِهِ مَدَحْتُ لِنَعْلَيْهِ وَحَقُّ بَأْنُ أَمْدَحْ

قافية الحاء

خَذِيئَهَا أَيَا نَفْسِي الْمَشُوقَةَ كَلَّمَا سَرَى نَفْسٌ مِمَّنْ هَوَايَ بِهِ بَدَخْ
خَمِيلَةَ شَعْرِ أُودِعَتْ مَدْحَ نَعْلٍ مَنْ بِشِرْعَتِهِ كُلَّ الشَّرَائِعِ قَدْ نَسَخْ
خَضَبْتُ نِصَالَ الشَّيْبِ لَمَّا رَأَيْتُهَا بِدَمْعِ مُحِبٍّ عَقْدَ كِتْمَانِهِ فَسَخْ
خُطَّاهَا أَفَادَ الْأَرْضَ زَهْوًا فَأَنْفَهَا عَلَى قِمِّ الشُّهْبِ الْمَنِيْفَةِ قَدْ شَمَخْ
خُصِصَتْ أَيَا نَعْلًا بِأَجْلَى مَرْيَةِ تَبَيَّنُ لِمَنْ فِي الْعِلْمِ أَخْصُهُ رَسَخْ

قافية الدال

دَعِ الطَّرْفَ يَسْرَحْ فِي رِيَاضٍ تَزِينَتْ بِمَدْحِ نَعَالِي مُصْطَفَى الرُّسُلِ أَحْمَدَا
دُعِيَ فَشَى فَوْقَ السَّمَاءِ فَلَمْ يَطَأْ بِهَا مَوْضِعًا إِلَّا وَأَصْبَحَ مَسْجِدَا

دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ إِذْ دَنَا فَأَوْحَى الَّذِي أَوْحَى إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى
 دُنُوًّا حَبِيبٍ مِنْ حَبِيبٍ لِأَجَلِهِ لَأَدُمَ أَمْلَاكَ السَّمَوَاتِ أَسْجَدًا
 دَرَى فَضْلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ فَكُلَّهُمْ يَرَوْنَ وَجِيهَهُ الْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدًا [٦٨٧]

قافية الزال

ذَرِ الْأَنْفَ يَسْتَنْشِقُ خَائِلَ رَوْضَةٍ تَبْذُ نَسِيمَ الْمِسْكِ أَنْفَاسُهَا بَذًا
 ذَكَرْتُ بِهِ نَعْلًا لَا كَرَمَ مَرْسَلٍ بَرَاهُ الَّذِي أَعْلَاهُ فِي رُسْلِهِ قَذًا
 ذَرُورُ تَرَاهَا الْمِسْكَ فَاقَ فَإِنْ تَسَلَّ عَنَّا أَذْكَى مِنَ الْمِسْكِ الْفَتِيقِ شَذًا قَذًا
 ذُكَاةٌ تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ سَحَاءَةً تَعْنِي مَدَحَهَا أَوْ جِلْدَةً مِثْلَهَا تُحْدَى (١)
 ذُوو حُبِّهِ التَّدُّوا بِرُؤْيَيْهَا كَا بِشُوبِ ابْنِ يَعْقُوبٍ أَبَوْه قَدِ التَّدَّا

قافية الراء

رَأَيْتُ مِثَالَ النَّعْلِ نَعْلَ الَّذِي بِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْقُدُّوسِ الْعَلِيِّ قَدْ أُسْرِيَ
 رَعَى اللَّهُ مِنْهَا نَعْلَ أَيْ كَرِيمَةٍ بِرَجُلٍ عَلَتْ نَخْرًا عَلَى قَمَةِ النَّسْرِ
 رُوِيَ أَنَّهُ نُودِيَ وَقَدْ رَامَ خَلْعَهَا وَمَاءَ الْحَيَا فِي وَجْنَتَيْهِ مَعًا يَجْرِي
 رَسُولِي لَا تَخْلَعْ تُشْرِفْ بِوِطْنِهَا بِسَاطِي يَا مَعْنَى وَجُودِي يَا سَرِّي
 رَفَعَتْ لَوَاءَ الْمَكْرُمَاتِ جَمِيعَهَا بِيَمْنَى الْعُلَا وَالنَّاسِ فِي قَبْضَةِ الذَّرِّي

قافية الزاي ، وهي مخجاسة

زَفِيرُ اشْتِيَاقِي إِذَا بَدَا نَعْلُ مُعْتَقِي مَخَاطِبِي كَتَمِي وَعَزَمِي قَدْ عَزَا

(١) السحاة : قطعة صغيرة من الورق تؤخذ من القرطاس . وتسمى : تحفظ . يريد أن الشمس تتمنى أن تكون هذه السحاة التي تحوى مدح نعل النبي ، أو أن تكون قطعة من الجلد مثلها .

زَكَتْ شَفَّةٌ قَدْ قَبَّلَتْ نَعْلَ سَيِّدٍ بِهِ عَالَمُ الْإِنْسَانِ أَجْمَعُهُ عَزًّا
زَعِيمٌ بِهِ هَذَا السُّرُورُ لَنَا وَفِي مَصَائِبُنَا الْعُظْمَى الْمَصَابُ بِهِ عَزَّى
زُهُوُّ سَنَاهُ ظُلْمَةِ الشَّرِكِ قَدْ جَلَا وَلَوْلَاهُ كُنَّا نَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعَزَّى
زَمَانِي لَا أَنْفَكَ لَأَتَمُّهَا أَرَى هَوَانٌ هَوَانًا يَا أَخْلَاءَنَا عَزًّا

فافية الطاء

طَوْتُ بَعْضَ مَامِنْ وَخُشَّةٍ نَشْرُ النَّوَى نَعَالُ خُطَاهَا فِي الْمَكَارِمِ لَا تُخْطَا
طَفِئْتُ أَنْادِي حِينَ لَاحَتْ لِنَاطِرِي وَزَنَدَ الْهَوَى بِالسَّقَطِ قَدْ وَصَلَ السَّقَطَا
طِبِّ أَنْعِمِ تَنْزَهُ يَا فَوَادِي فَهَذِهِ نَعَالُ الَّذِي جَاوَزَتْ فِي حُبِّهِ الْفَرْطَا
طُبِعْنَا عَلَى حَبِّ لَهُ فَمَتَى يَلُحْ لَنَا أَثَرُ نَنْثَرُ مِنْ أَدْمُعِنَا سِمَطَا
طَلَعْنَا نَجُومًا فِي هَوَاهُ فَأَفْقُنَا قَدْ أَخْلَدَ عَنْهُ النُّجُومُ لِلْأَرْضِ وَالْمَحَطَا

فافية الطاء

ظَلَلْتُ أَنْادِي إِذْ رَأَيْتُ نَعَالَ مَنْ قَدْ أَنْقَذَنِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ لَظَى
ظَهَرَتْ لَنَا فِي شَكْلِ بَدْرِ فَلَمْ نَكُنْ لِبَدْرِ الدَّجَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لِنَلْحَظَا [٦٨٨]
ظَمِينًا فَكُنْتُ الْمَاءَ مَقْلُوبَ هَمْزَةٍ نَقَعْتُ وَمِيمٍ جِيءَ فِي إِثْرِهَا بَطًّا
ظَهِيرِي رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ لَحَظْتَنِي بِهِدْيِي وَفِي الْأُخْرَى تَرَى لِمَنِ الْحَظَا
ظِلَالُكُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ حَفِظْتَنِي وَمَا كُنْتُ لَوْلَا الْفَضْلُ مِنْكُمْ لِأُخْفَظَا

فافية الطاف

كُرُمْتَ أَيَا نَعْلًا لَا كَرَمَ مَرْسَلٍ بِهِ وَهُوَ وَسَطَى السَّلَكِ قَدْ خُتِمَ السَّلَكُ
كَأَنَّكَ فِي عَيْنِي نَافِثَةٌ خَلَّتْ وَأَبْقَى بِهَا لِلْأَنْفِ مِنْ نَفَحِهِ السَّلَكُ

كتمتُ فلما لُحِثَ لي باحَ محجري بسرَّ معنَى قلبه بالنوى يشكو
كفاني كفاني أن بدا أثرُ لمن به من إसारِ الشُّركِ قلبى مفتك
كريمُ كرامِ الرُّسلِ أحمدُها الذى بتوحيده الإِشراكِ أودى فلا شرك

فافية المرم

لمثلِكِ يا نعلًا بلا بسهما نعلو ويا طيبَ قلبى كما قلت يا نعل
لثمت وما أبغيه بالثم لا ولا سواه فما قصدى النعال بلا الرِّجل
لها الله من رَجُلٍ مشى بأجلَّ من شأى رسلَ الله الكرام وإن جأوا
لنا قد أتى منا عزيزٌ عليه ما عَفَتْنَا رءوفٌ راحمٌ ما له مثل
لعمري لولاه لما سحت السما ولا دُحِيتْ أرض ولا برى الكل

فافية الميم

وفيا وفيما بعدها لزوم زائد لم يهد الله إليه ولا ألهم ، إلا بعد الفراغ من
نظم ما تقدّم ، وإلا فجناب تجده فسيح ، ولسان الألسن فى مدحه عليه
السلام فصيح ، [وصلى الله على سيدنا محمد النبى المليك] :

مثالك نعل المصطفى هاج لي جوى جناه هوى قلبى السعيد به سما
مددت له عينى مشوق به على صبابته ألا تحول قد أقسما
مشيت به فوق السماء فكلما وطئت سماء فاخرت فوقها سما
مواطنه قسمن فيها مناسكا فأسمى الذى أدناه ذاك المقسما
محمد أبكيت الترى إذ عرّجتم وعدهتم إليه بعد ذا فتبسما

فافية النون

نظرت بعينى هائم القلب مُدْنَفٍ شجيت أبى إلا البسكا طرفه خدنا

نَعَالَ حَبِيبٍ مُصْطَفًى مِنْ حَبِيبِهِ دَنَا فَتَدَلَّى قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى [٦٨٩]
 نَبِيٍّ جَمِيعَ الرُّسُلِ سَادَ حِلْيَ كَمَا بِمَبْعَثِهِ فِينَا جَمِيعَ الْوَرَى سُدْنَا
 نَجَّى لِرَبِّ الْعَرْشِ نَاجٍ مُحِبُّهُ غَدَا مِنْ لَظَى ذَاتِ الْلَظَى وَارْتَا عَدْنَا
 نَزَعْنَا إِلَى التَّوْحِيدِ مِنْ مُلْكٍ شَرَكْنَا وَلَوْلَاهُ مَا وَاللَّهِ لَهِ وَحَدْنَا

قافية الصاد

صَبَرْتُ فَلَمَّا لَاحَ لِي مِثْلُ نَعْلٍ مَنْ حِلَاهُ تَعَالَتْ أَنْ تُعَدَّ وَتُسْتَقْصَى
 صَبَبْتُ دُمُوعًا مِنْ جَفُونٍ كَأَنَّهَا عَزَا إِلَى سَحَابٍ نُؤْيِيهَا النَّأَى قَدْ أَقْصَى
 صَبَوْتُ هَوًى فِي السَّيِّدِ الْعَلَمِ الَّذِي قَدْ أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
 صَمِيمٌ صَمِيمٌ الْجِلَّةِ الْقَمَرُ الَّذِي وَقَاهُ الْإِلَهُ الْحَقَّ وَالْكَسْفُ وَالنَّقْصَا
 صِرَاطِي هَوَاهُ لِلْجَنَانِ وَإِنَّهُ بَقِيَ وَوَقَى جِيدَ اغْتِصَامِي بِهِ الْوَقْصَا

قافية الضاد

ضُلُوعِي لَا تَهْدَا وَدَمْعِي لَا يَرْفَا وَلَيْسَ سِوَى حَالِهِمَا مِنْهُمَا أَرْضَى
 ضَلَّالِي هُدًى فِي ذَا الْهَوَى عِنْدَ أَهْلِهِ ذَوِي النَّظَرِ الْأَقْوَى ذَوِي السَّيْنِ الْأَرْضَى
 ضَعُوهَا قَلْبِي الشَّاكِي بِحَيْثُ نَعَالُهُمْ فَأَثَارُهُمْ تَشَنَّى أَحِبَّتْهَا الْمَرْضَى
 ضَمَمْتُ نَعَالَ الْمُصْطَفَى رِجْلَهُ الَّتِي بِهَا شَرَفَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَا
 ضَعُوهَا كَمِثْلِي فَوْقَ أَرْوَاسِكُمْ فَقَدْ زَكَ مِنْ رَأَى تَعْظِيمِ مِقْدَارِهَا فَرَضَا

قافية العين

عَلَى وَجْنَتِي فَاضَتْ دُمُوعِي فَصَرَّحَتْ بِسِرِّ فُؤَادِي بِالتَّكْتُمِ أُولِعَا
 عَشَى بَدَتْ نَعْلُ الْحَبِيبِ كَأَنَّهَا هِلَالٌ بَاقٍ الْقُلُوبِ قَدْ أَطْعَا

عَجِبْتُ لِقَلْبِي أَنْ رَأَاهَا وَلَمْ يَطِرْ • وَيَخْرِقُ شَعَاظًا قَدْ حَوَاهُ وَأَضْلَعَا
عَمْرَاهُ خِيَالًا فَاسْتَقَرَّ وَلَمْ يَطِرْ • إِلَيْهَا وَشَيْكَا حِينَ بِالْأَمْرِ طَوَّعَا
عَسَى مِنْ أَرَانِي نَعْلَهُ أَوْ مِثْلَهَا • يُرِينِي ضَرْيَحًا لِلْمَكَارِمِ مُطْلَعَا

قافية الغين

غَلِيلِي لَا يُطْفَا وَشَجْوِي لَا يَنْفَى • وَدَمْعِي لَغَيْرِ الْمُزْنِ لَيْسَ بِمَنْبَغِي
غَسَلْتُ بِهِ رَيْنَ الْجَوَى وَهُوَ نَكْتَةٌ • بَخْدِي وَقَلْتُ اسْفِكَ نَجِيمَكَ وَاصْغِي
غَدَاةً بَدَتْ نَعْلًا لَا كَرَمَ مَرْسَلٍ • رَفِيعٍ شَفِيعٍ ذِي مَكَارِمَ سَبَّغِ
غَيُورٍ شَكُورٍ رَاحِمٍ مُتَلَطِّفٍ • كَرِيمٍ مُنِيلٍ وَاسِعِ السَّيْبِ مُسْبَغِ
غُلَامُكَ يَا مَوْلَايَ يَنْبَغِي شَفَاعَةٌ • وَذَلِكَ أَمْرٌ مَا لَغَيْرِكَ يَنْبَغِي [٦٩٠]

قافية الفاء

فَوَادِي لَا تَشْكُ الْبِعَادَ فَهَذِهِ • نِعَالُهُمْ فَاسْتَشْفَيْنَ بِهَا تَشْفَى
فَمَيِّ قَبَّلْنَاهَا مِثْلَ نَعْلٍ كَرِيمَةٍ • بِتَقْبِيلِهَا يُشْفَى سَقَامٌ مَنِ اسْتَشْفَى
فَلَيْتَ يَمِينِي وَالشِّمَالُ وَمِسْمَعِي • قُلْبُنْ شِفَاهَا تُحْسِنُ اللَّثْمَ وَالرَّشْفَا
فَأُطْفِئُ بِالتَّقْبِيلِ وَالرَّشْفِ سَجْمَةً • قَدْ أَشْعَلَهَا شَوْقٌ عَلَى الْهَلَاكِ بِي أَشْفَى
فَأَقْسِمُ يَا نَعْلَ الْحَبِيبِ لَأَنْتَ مِنْ • شَرَابِ بَطُونِ النَّحْلِ الْمُسْتَكِي أَشْفَى

قافية القاف

قَلْبِي لَا تَقْنَطْ فَهَذِي نِعَالُ مَنْ • عَلِقَتْ بِهِ مِنْ قَبْلِ سَرَّابَةِ الْعَلَقِ
قَدْ أَبْصَرْتُهَا فِي أَفْقٍ كَفَى كَأَنَّهَا • هِلَالٌ مُنِيرٌ لِلْعُيُونِ قَدْ ائْتَلَقَ
قَمًا فِي السَّنَى آثَارَهُ الْقَمَرُ الَّذِي • لِلْأَبْسَةِ كَالْبُرْدَةِ انْشَقَّ وَانْفَلَقَ

قَرَأْتُ حِذَارَ الْعَيْنِ لَمَّا رَأَيْتُهُ بِأَفْقٍ يَمِينِي طَالَعًا سُورَةَ الْفَلَقِ
قَسَتْ مُهْجَةً قَدْ أَبْصَرْتُهُ وَمَا جَرَتْ مَسَابِقَةً شُهْبَ الْمَدَامِيعِ فِي طَلَقِ

قافية السبع

سَمَوْتَ أَيَا نَعْلَ الرَّسُولِ بِرَجْلِهِ عَلَى قِمَمِ الشَّهْبَانِ وَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ
سَرَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ فَوْقَ بُرَاقِهِ لَيْسُمَيَّ أَقْطَارَ السَّمَوَاتِ بِاللَّامِ
سَمَاءَ بِهِ فَلْتَفْخَرِي بِدَرِّ سَوْدُودٍ سَائِمَ السَّنَى يَضْجِي مُنِيرًا كَمَا يُمَسِي
سِرَاجَ بِهِ طُلْنَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَلَا عَجَبُ أَنْ يُفْضَلَ الْيَوْمُ لِلْأَمْسِ
سَلَمْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ لَكِنَّا وَهُمْ حُرُوفٌ وَمَا الْإِطْبَاقُ فِي الْحَرْفِ كَالْهَمْسِ

قافية السبع

شَمَخْتُ أَيَا نَعْلًا لَا كَرَمَ سَيِّدٍ رَسُولَ عَلَى السَّمْعِ السَّمَوَاتِ قَدْ مَشَى
شَرِيفٍ لَهُ قَدْ أُسْجِدَ الْبَدْرُ وَالتَّتَفَتْ إِلَيْهِ تَجْدُّهُ بِالْتَّرَابِ مُنْمَشَا
شَفَى مُبْصِرِي الْقَلْبِ وَالطَّرْفِ نَوْرُهُ وَقَدْ كُنْتُ أَعْشَى الْقَلْبِ وَالطَّرْفِ أَعْمَشَا
شَفَاعَتَهُ نَرْجُو امْتِدَادَ ظِلَالِهَا إِذَا مَا الرِّجَا فِيمَا سِوَاهَا تَكْمَشَا
شَقَقْتُ جُيُوبَ الْكَتَمِ وَجَدًا وَقُلْتُ يَا يَدَيَّ وَهِيَ حَبْلٌ^(١) التَّصَبُّرِ فَاخْشَا

قافية الرها

هِيَ النُّعْلُ قَدْ كَانَتْ سَمَاءَ وَرَجُلُهُ هَلَالًا فَمَا أَسْنَى وَأَضْوَأَ أَفْقُهَا
هِيََا مَنْكَرًا تَقْبِيلَهَا بَعْدَ بَدْرُهَا عَلَى دَنْفٍ مَا أَنْتَ مِنْهُ بِأَفْقُهَا [٦٩١]
هَلِ الْقَصْدُ إِلَّا رَجُلٌ لَا بِسَمَاءِ الَّذِي سُسْمُوعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَفَقَهَا

(١) في الأصول: « حد ». ونظنه محرفا عما أثبتناه .

هَلَالِي وَشَمْسِي فِي دُجَى الْخَشْرِ سَيْدِي مُبْلَغُ نَفْسِي مَا يُوَافِقُ وَفَقَهَا
هَمَّتْ عَبْرَتِي شَوْقًا لَهُ إِذْ رَأَيْتَهَا فَمَا تَرْتَجِي الْأَجْفَانُ مِنْ بَعْدِ رِفْقَهَا

* * *

انتهى ما ألفيته من هذه القطع ، ولم أجد تكملة الحروف ؛ وقد كمل ما بقى
منها على نمطها ، صاحبنا الفقيه الأصيل أبو الحسن الشامي ، حفظه الله ،
وسياتى ذلك قريباً .

وأنفيت أيضاً بخط هذا الشيخ محمد بن الفرَج السبكي ، رحمه الله ، عدة
قصائد ومقاطيع في هذا الغرض ، منها قوله رحمه الله :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِثَالَ نَعْلِ مُحَمَّدٍ فَاشْتَدَّ شَوْقِي عِنْدَ ذَلِكَ وَهَاجَا
فَظَلْتُ أَمْسِحُ وَجَنَتِي بِشَسْعِهِ مَسْحًا وَأَجْعَلُهُ بِرَأْسِي تَاجَا
يَا نَعْلَ أَكْرَمِ مَرْسَلٍ لَمَّا أَنَّى دَخَلَ الْوَرَى فِي دِينِهِ أَفْوَاجَا
كَرَّمْتَ مِنْ نَعْلِ حَوْتٍ رَجُلًا مَشَتْ بِأَجَلٍ بَادٍ فِي الظَّلَامِ سِرَاجَا
شَرُفْتَ بِمَوْطِي نَعْلِهِ السَّبْعُ الْعَلَا لَمَّا ارْتَقَاهَا عَارِجًا لِيُنَاجِي

* * *

ومنها قوله رحمه الله :

نَثَرْتُ مُحَاجِرُ مُتَلَتِّي مِنْ سِلْكِيهَا دُرًّا وَشَذَرًا مُفَرَّغًا مِنْ سِلْكِيهَا
شَوْقًا لِمَبْعُوثٍ أَنَّى فَاسْتَبَشَّرْتُ مُهَيِّجُ الْوَرَى بِنَجَاتِهَا مِنْ هَلْكِيهَا
عَايَنْتُ مِثْلَ نَعَالِهِ وَمُحَمَّدُ هُوَ خَاتَمُ الْأَرْسَالِ وَسُطَى سِلْكِيهَا
فَوَجَدْتُ فِيهَا رِيحَهُ وَلَرُبَّمَا فَاحَ النِّوَافِجِ بَعْدَ فُرْقَةٍ مِسْكِيهَا
أَشْرَفَ بِهَا نَعْلًا عَمَائِمَ كُلِّ ذِي شَرَفٍ تُقَرُّ بِأَنْهَا مِنْ مِلْكِيهَا
فَلَقَدْ وَعَتْ قَدَمًا سَعَتْ فِي فَكِيهَا مِنْ رَاحَتِي كُفْرَانِهَا أَوْ

وله مقاطيع
في مدح النعال
أيضاً

جعلت موطنها الملائكُ عندما
 باليتَ أعضائي شِفاهُ كُلِّها
 قد كنتُ ذا خوفٍ ووَخْشَةٍ أَبَدَلاً
 فكأنَّها صَكٌّ أتى عبداً وقد
 وهلالٌ أطلِعَ فأنجَلِي مِن وَخْشَتِي
 فأنَا العتيق وإن تَشَكَّ النَّفْسُ فِي
 يا مُنْجِيَ الحَوْبَاءِ مِن بَحْرِ الرَّدَى
 شَكْوَى غَرِيقِ ذُنُوبِهِ مَهْمَا شَكَّتْ
 ولقد أَمِرتُ بِتَرْكِ أَسْبَابِهَا
 ولئن هَدَمْتُ مَبَانِيَا مَسْتَمُورَةً
 فلقد بَنَيْتُ مِنَ الرِّجَاءِ مَبَانِيَا
 وجعلتُ حُبَّكَ يا مُحَمِّدُ أَسْهًا
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهْنَا مَا ظَلَّ أَنْ

أُسْرِي بِهِ لَيْلَا مَوَاضِعَ نُسْكِيهَا
 فَمَتَى تُقْبَلُهَا شَفَاهِي تَحْكِيهَا
 رَغَدَ الْمَسْرَةِ لِلْفَوَادِ بِضَمِّهَا
 تُعْطَى الْمَوَالِي أَمْنَهَا فِي صَكِّهَا
 ما قد تَرَاكُمُ مِنْ سَحَابٍ حُلْكِيهَا
 عَتَقِي يُمِطُ لِلْحَيْنِ عَارِضُ شَكِّهَا [٦٩٢]
 ولقد غدا لَوْلَاكَ مَقْطَبُ فُلْكِيهَا
 حَوْبَاؤُهُ لِسَوَاكُمُ كَمْ يَشْكِيهَا
 تقوى الذُّنُوبِ فَمَا أَخَذْتُ بِتَرْكِهَا
 بَسُورٍ لُطْفٍ لَا سَبِيلَ لِهَتْكِهَا
 رَدَّتْ فَوَاتِكَ خِيفَتِي عَنْ فَتْكِيهَا
 عَلِمَا بَانَ الْأَسْرَ مُمَسِّكُ سَمْكِيهَا
 فُذَكَّرَكَ الْعِطَرُ الشَّدَا مُسْتَنْسِكِيهَا

* * *

ومن ذلك قوله رحمه الله :

أقولُ وهجراني سَيِّعُ قُبِهِ الوصلُ
 غداةَ رَأَتْ عَيْنِي مِثَالَ نَعَالِ مَنْ
 تَمَنَيْتُ لَوْ أَنِّي ظَفِرْتُ بِتُرْبَةٍ
 فَأَ كَحَلَّ عَيْنًا أَرْمَدَتْ بِبِعَادِهِ
 هو الكحلُّ يَجْلُو مَا بَعِثَنِي مِنْ قَذَى
 طُوبَاكَ طُوبَى لِمَنْ طُوبَى وَحَقٌّ أَنْ

فَعَقْدُ الْهَوَى الشَّرْعِيُّ مَا إِنْ لَهُ حَلٌّ
 بدا فهدى أهل السعادة إِذْ ضَلُّوا
 عَلَيْهَا مَشَتْ نَعْلٌ بِلَابِسِهَا نَعْلُو
 وَلَيْسَ سِوَى ذَلِكَ التُّرَابِ لَهَا كُحْلُ
 وَكَمْ كَحَلٌّ أَنْ تُكْحَلَ بِهِ الْعَيْنُ لَا يَجْلُو
 أَرَدَّ طُوبَى لِمَنْ طُوبَى أَيَا نَعْلُ

فإنك قد أودعت رجلاً علت على
فأقسم لو نوتى العائم سؤلها
وناهيك من رجل مشيت بمحمد
أبو القاسم الأسمى الذى وطئ السما
ولو لم تطأها رجلاه كان للثرى
فيا مرسلًا ما فى النبیین مثله
أنرت ظلام الجهل فالقلب نير
فكان كمثل السيف أصبح صادقًا
يلوح به الإيمان شكلًا لناظر
فحق لدى عقل بأن يقطع المدى
وما شغل إلا امتداح جلالكم
أمولاي يا مولاي ألفا وبعده
عديد الحصى والرمل بل عد ما إذا
خبتكم كهفى الذى مذ خلته
وسيفى الشرىجى الذى مذ سلته
ورمى الردينى الذى مذ شرعته
وقوسى التى مذ سدّد الصدق نبلها
فها أنا فى ظل من الأمن قاطع
ومن يدري ما أدري من أفضالك الذى
أو الأصل والإفضال بعض فروع
بساط علًا لم تغله
لما كان غير النعل كان هـ
مفضل رسل الله إن عدت الرشد
فقدوى من فيها ألا خلفه صلوا
على الفلك الأعلى بموطئها الفضل
رسولا وهل للشمس من جنسها مثل
محًا العلم منه أحرًا خطها الجهل
وأسمى وقد جلى مضارب الصقل
ولولاك لم يطلع به ذلك الشكل
مدى عمره مادام يصحبه العقل
فنعم الفتى من شغل ذلك الشغل
كذلك ألف ثم ألف له قبل
بدا فالخصى جزأ بدا منه والرمل
إذا اشتد كرب على الفور ينحل
رأيت خطوب الجهل عني تنسل
صرعت به شكلي فلا نعش الشكل^(١)
أصاب أسمى ما خاب قط له نبل
على الأمن أن يمتدلى ذلك الظل
هو الباب والإفضال أجمعه فضل
وما يستوى فى الرتبة الفرع والأصل

[٦٩٣]

(١) كذا فى ط، ص. وى م: «ثقل» «الثقل» .

نَمَّ آمِنًا مِنْ جَوْرِ دَهْرٍ صُرُوفُهُ
 يَا غَوْنِي وَغَيْثِي كُلَّمَا
 مُحَمَّدٌ يَا حَزْرِي وَعَزَى كُلَّمَا
 أَكْرَرُ فِي أَحْوَالِ اسْمِكَ إِنَّهُ
 [أَمَا إِنَّهُ أَحَلَّى وَأَيْمَنُ مُجْتَنِيٌّ
 وَإِنْ كَانَ فِي الشَّهْدِ الشِّفَاءُ لِمَشْتَكِي
 فَبِاسْمِكَ يُشْفَى كُلُّ قَلْبٍ إِذَا اشْتَكَى
 وَمَا جَسَدُ الْإِنْسَانِ مِثْلَ فُؤَادِهِ
 فَبِالْفَضْلِ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْبَذْلِ إِنْ عَدَّتْ
 أَجْرِي مِنْ نَارٍ ضَرِيعٌ طَعَامُهَا
 وَمِنْ أَهْلِهَا الْعَاصِي أَوْ أَمْرُ رَبِّهِ
 أَمَا إِنِّي أَرْجُو النِّجَاةَ وَإِنْ تَكُنْ
 فَإِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُ أَيْ ذَخِيرَةً
 هَوَاكَ الَّذِي الْمَعْضَلَاتُ خَبَأَتْهُ
 أَلَا هَكَذَا فَلْيَخْبِئِ الْحُبَّ مُدْنَفٌ
 وَإِنْ يَخْلُ مَعْمُورُ الْقُلُوبِ مِنَ الْهَوَى
 وَإِنْ يَعْتَلِلُ وَقْتًا غَرَامٌ فَيَخْتَلِلُ
 فَكَمْ بَيْنَ مَنْ قَدْ تَيَمَّ الْفَضْلُ وَالْعَمَلُ
 لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا بَيْنَ وَصْلٍ وَقَطْعَةٍ
 وَإِنْ عَرَسَتْ كَفَّاهَا شَجَرُ الْهَوَى
 فَيَا قَلْبِي أَلَيْلٌ مِنْ هَوَاكَ بِجَنَّةٍ
 سَوَاهِرُ وَاسْتَقْصَى وَلَيْسَ لَهُ عَدْلُ
 تَجَهَّمَتِ الْأَيَّامُ أَوْ أَحْجَفَ الْمَحَلُ
 تَفَاقَمَتِ الْأَهْوَالُ أَوْ طَرَقَ الذَّلُ
 لِكَا الشَّهْدِ مَا كَرَّرْتَهُ فِي فَيَّ يَحْلُو
 فَكَمْ مُجْتَنٍ لِلشَّهْدِ تَلَسُّعُهُ النَّحْلُ
 بَعْلَةٌ جِسْمُ أَصْلَاهَا الشَّرْبُ وَالْأَكْلُ
 إِلَيْكَ بَدَاءُ جَرِّهِ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
 فَمَنْزِلُ ذَا عُلُوٍّ وَمَنْزِلُ ذَا سُفْلٍ
 خُطُوبٌ وَلَمَّا يُلَفُّ فَضْلٌ وَلَا بَذْلُ
 وَمُهْلٌ وَمَا يَغْنِي ضَرِيعٌ وَلَا مُهْلُ
 وَإِنِّي أَلَمَّا أَوْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِي أَهْلُ
 ذُنُوبِي حِمْلًا لَا يَطَاقُ لَهَا حَمْلُ
 تَخَفُّفٌ مِنْ ثِقَلِ الذُّنُوبِ فَلَا ثِقَلُ
 فَمِنْ مُهْجَتِي حُقٌّ وَمِنْ غَيْرَتِي قُفْلُ
 إِذَا مَا سَلَا أَهْلُ الْحُبِّ لَا يَسْلُو
 فَمَا قَلْبُهُ الْمَعْمُورُ مِنْ حُبِّهِ يَخْلُو
 فَمَا حُبُّهُ يَعْتَلِلُ وَقْتًا فَيَخْتَلِلُ
 وَبَيْنَ الَّذِي قَدْ تَيَمَّ الْغُنْجُ وَالذَّلُّ
 وَهِيَّاتُ مَا بِالْقَطْعِ يَشْتَبُهُ الْوَصْلُ
 فَمَغْرُوسٌ ذَا شَرَى وَمَغْرُوسٌ ذَا نَحْلُ
 بِهَا احْتَلَّ قَلْبُ حُبِّهِ لَيْسَ يَعْتَلِلُ

ونادِ الْوَرَى إِنِّي احتلت بِجَنَّةٍ
أَدِيرُ بِهَا كَأْسًا دِهَاقًا وما سَوَى
هِيَ الْحَرُّ لم يَتَلَفْ بِهَا عَقْلُ شَارِبٍ
ويا فَكْرِي الرَّامِي المَصِيبَ بِنَبْلِهِ
وفى قَتْلَهَا عندَ اللَّيْبِ حَيَاتُهَا
بتأليفِ شَمْلِ المدحِ في المصطفى اشْتَغِلْ
فذاك محلٌّ للمدائحِ قابلٌ
محلٌّ يُسَمَّى في عُلاه مُقَصِّرًا
محلٌّ علا فوق السَّمَاءِ ولم يكنْ
فقل للأديبِ المُسَكِّرِ القولِ في حِلِّي
فضائله بِحَرْ وَسَجَلٍ كَلَامُنَا
وتالله ما الْبَحْرُ الْعُطَامِطُ مُشَبَّهًا
ولكنها الأَمْثَالُ تُضَرَّبُ للوَرَى
وقد ضَرَبَ اللهُ الْأَقْلَ لنورِهِ
أخيراً رَسُولٍ جاءَ لِلخَلْقِ هَادِيًا
وكأنَّهُمْ نَشَوْنَ من سَحَرَةِ الْهَوَى
فما مِنْهُمْ إِلَّا أَسِيرُ ضَلَالَةٍ
فَدَلُّوا عَلَى سُبُلِ النَّجَاةِ بنورِهِ
فَاعْقَبَ ذاكَ النُّورُ مَدْلُولَهُ حِلِّي
وَقَفَّتْ بِبَابِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ الَّذِي
فما كَرَّمَ يُرَوِّى عَنِ الْجُودِ وَاهِبًا

بِهَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى هَوَاى سَيَحْتَلُّ
سِرورى بِمَجْبوئِي مُدَامٌ وَلَا تُقَلُّ
وتلك حرامٌ في الكتابِ وذِي حِلٍّ
مَقَاتِلَ أَغْراضٍ أَرَاهَا لهُ الثُّبُلُ
ومن أعْجَبَ الْأَشْيَاءِ أَنْ يُحْيِيَ الْقَتْلَ
يُعْزِكَ عَلَى تَأْلِيْفِهِ ذَلِكَ الشَّمْلُ
إِذَا انْخَصَرَتْ فِيهِ مَدَائِحُ مَنْ قَبْلُ
أَدِيبٌ وَفِي الْأَمْداحِ مَنْ طَبَعَهُ يَغْلُو
لأَعْلَى محلٍّ ذلك الْعُلُو أنْ يَعْلُو
عُلاه : كَثِيرُ الْقَوْلِ فِي مَجْدِهِ قُلُ
وليس يُغَيِّضُ الْبَحْرَ دَلُّو ولا سَجَلُ
فضائله أَوْ يُشَبِّهَ الْوَابِلَ الطَّلُ
وليسَ مِنَ الْمَشْرُوطِ أَنْ يُفْعَلَ الْكُلُ
فَقَالَ كَمِشْكَاةٍ وَلَيْسَ لَهُ مِثْلُ
وقد دَرَسَتْ سُبُلُ النَّجَاةِ فَلَا سُبُلُ
فمَعْبُودُهُمْ نَسَرُّ وَمَدْعُودُهُمْ بَعْلُ
ففي جِيدِهِ غُلٌّ وفي رِجْلِهِ كَنْبُلُ
جَمِيعًا وَلَوْلَا ذَلِكَ النُّورُ ما دُلُّوا
ففي جِيدِهِ عِقْدٌ وفي رِجْلِهِ حِجْلُ
غَمَامَتُهُ وَطَفًا وَعَارِضُهُ وَبَلُ
مَوَاهِبُهُ تَقَرَّى وَنَارُهُ جَزَلُ

(١٦ — ج ٣ — أزهار الرياض)

وَقَيْسَ بِذَا إِلَّا وَقَالَ أُولُو النَّهْيِ
وَلِي حَاجَةٌ عَنَّتْ إِلَيْكَ ، قَضَاؤُهَا
زِيَارَةُ أَرْضِ طَيِّبِ اللَّهِ تَرْبِهَا
هِيَ الْبَلَدَةُ الْغَرَاءُ طَيِّبَةُ النَّبِيِّ
فَمَنْ حَلَّ مَنُوءِي أَنْتَ فِيهِ مُحْتَمٍ
يَكُنْ آمِنًا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَخِيفَةٍ
فَمَا دَاخِلُ عَدْنًا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى
وَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْجَنَانِ وَبَيْنَهَا
وَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَمَا كَانَ لِلْمُزْنِ الَّتِي أَعْصَرَتْ هَطْلُ

[٦٩٥]

وله في تشبيه نعل الرسول
وَمِمَّا لَهُ أَيْضًا رَحْمَهُ ، مِلْتَزِمًا تَشْبِيهِ النَّعْلِ الْمُخْتَصَةِ بِالشَّرَفِ وَالرَّفْعَةِ ، وَقَدْ
أَبْصَرَهَا مَرْسُومَةً بِالْحَبَرِ فِي رُقْعَةٍ :

إِشْفَى بِرُؤْيَيْهَا يَا نَفْسِي الدَّنْفَةَ نَعْلًا لِرَجُلٍ رَسُولُ اللَّهِ مُكْتَنِفَةً
كَأَنَّ طَرَسًا بِهِ بِالْحَبَرِ قَدْ رُسِمَتْ بُرْدٌ مِنَ الْحَبَرَاتِ الْبَيْضِ ذُوصِنَفَةً

وله في وصف النعل أيضا
وَمِمَّا لَهُ أَيْضًا نَفْعُهُ اللَّهُ بِهَا ، وَرَسَمَ مِثَالَ النَّعْلِ الْكَرِيمَةِ إِثْرَهَا :
يَا سَائِلًا أَفْتِيهِ إِثْرَ سُؤَالِهِ عَمَّا يَرَى إِنْ يَشْكُ مِنْ إِشْكَالِهِ
تُرِّهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنَيْنِ فِي شَكْلِ هَلَالِ الْأَفْقِ مِنْ أَشْكَالِهِ
أَخْطَأْتُ لَسْتُ بِعَائِدٍ وَلَكُمُ مُصِيبٌ مُخْطِئٌ فِي الْبَغْضِ مِنْ أَقْوَالِهِ
فَالْبَدْرُ يُكْسِفُ فِي مَنَازِلِ سَعْدِهِ وَيَصِيدُهُ النَقْصَانُ إِثْرَ كَمَالِهِ
وَكَلَاهَا شَيْنٌ وَهَذَا قَدْ وَفَى مِنْ كُلِّ شَيْنٍ بَدْرُ سِرِّ جَمَالِهِ

أَوَلَيْسَ تَمَثَّلَ النَّعَالِ نَعَالِ مَنْ وَطِئَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى بِنَعَالِهِ
نَعْلٌ بِلَابِسِهَا بَاتٌ وَيَحِقُّ أَنْ تَبْأَى بِهِ الْجَلَالَهُ وَخِلَالَهُ
فَلَقَدْ حَوَتْ رَجُلًا مَشَتْ بِالْصَفْوَةِ الْمَخْتَارِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَرْسَالِهِ
فَالنِّمَّةُ تَمَثَّلًا لَهَا لَمْ أَسْرِئُ بِاللَّهِ يُرَوِّى مِنْ صَدَى بَابِلَالِهِ
فَلَرُبَّ مُشْتَقٍّ رَأَى آثَارَ مَنْ يَشْتَقُّهُ فَشَفَّتْهُ مِنْ أَوْجَالِهِ
أَوْ مَا تَرَى يَفْقُوبَ عَادَ بِثُوبِ مَنْ يَهْوَى سَنَى عَيْنِيهِ بَعْدَ زَوَالِهِ
وَهَوَاىَ فِي مَوْلَاىَ يَفْضُلُ حُبَّ يَفْقُوبٍ عَلَى الْمَرْوِىِّ مِنْ أَحْوَالِهِ
فَمَحَمَّدٌ هُوَ مُعْتَقٍ مِنْ مَلِكٍ شَرِّ لِي كُنْتُ طَوْعَ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
قَطَعَتْ هِدَايَتَهُ حَبَالُ ضَلَالَتِي بِحُسَامِهَا الْجَالِي الرَّدَى بِصِقَالِهِ
فَغَدَوْتُ مُعْتَقَلًا وَرَحْتُ مُسَرَّحًا مُتَمَسِّكًا مِنْ هَدْيِهِ بِحِبَالِهِ
يِرْتَاحُ فِي عَدَنِ الْهَدَى قَلْبِي وَلَا يَحْشَى الْإِعَادَةَ فِي جَحِيمِ ضَلَالِهِ
أَصِلِ النَّدَاءَ مُعَرِّفًا بِعَوَارِفِ بَلِغِ الْفَوَادِ بِهَا مَدَى آمَالِهِ
يَا قَوْمُ إِقْرَارُ أَمْرِي بِفَضَائِلِ عَظُمْتُ عَلَى لَا أَحْمَدِ وَلَا لِهِ
كُنْتُ الدَّلِيلَ فَمَذُ تَمَلَّكَ مَجْدُهُ نَفْسِي بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ إِفْضَالِهِ
مَا زَالَ يَسْعَى فِي عَزَاةِ عَبْدِهِ حَتَّى مَحَا بِالْعَزِّ نُقْطَةَ ذَالِهِ
فَأَنَا الدَّلِيلُ لِأَعْبُدِ ذَلُّوا عَلَى أَنْ يُضْبَحُوا مِثْلِي عَبْدٌ جَلَالِهِ
مَوْلَاىَ يَا مَوْلَاىَ أَلْفَا مُرْدَفَا بِمِثَالِهِ وَمِثَالِهِ وَمِثَالِهِ
أَضْعَافُ أَضْعَافِ الذِّى فِي الْبَحْرِ مَنْ نُقْطُ: أَجَاجِ الْمَاءِ أَوْ سَلْسَالِهِ
أَنَا عَبْدُكَ الْقَنْنُ الذِّى أَطْلَقْتَهُ مِنْ جَهْلِ أَوْتَقِ مُهْجَتِي بِعِقَالِهِ
فَبِمَا عَلَى لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ الذِّى ضَعُفْتُ قُوَى سُكْرِي عَنْ اسْتِقْلَالِهِ
إِلَّا حَمَاتَ إِلَى الْأَسَاةِ بِطَيْبَةِ جِئِمَا شَكَا بِفِرَاقِ قَلْبِي وَالهِ

[٦٩٦]

وَأَظَنَّهُ وَالظَّنُّ يَصْدُقُ هَاهُنَا عَنْدِي وَإِنِّي لِلْخَبِيرُ بِحَالِهِ
 قَدْ حَلَّ مِنْ فَلَاكِ الْعُلَى حَيْثُ الْحَلَى شَهْبٌ تَحَفُّ بِشَمْسِهِ وَهَالَاهُ
 بَلَدًا يَذُودُ الْمَارِقِينَ جَلَالَهُ بِسَيُوفِهِ وَلِدَانِهِ وَنَبَاهُ
 فَكَأَنَّهُ كَبِيرٌ نَفَى خَبَشًا وَأَبْقَى مَنْ رَضِيَ الرَّحْمَنُ بِاسْتِعْمَالِهِ
 أَرَبِي عَلَى أَمْثَالِهِ وَوَحَقَّهُ لَأَفْكْتُ فِي قَوْلِي عَلَى أَمْثَالِهِ
 فَالْأَرْضُ مِثْلُ ذُبَالَةٍ وَهُوَ السَّنَى مِنْهَا وَكَمْ بَيْنَ السَّنَى وَذُبَالِهِ
 هُوَ طَيِّبَةُ الْغَزَاءِ أَشْرَفُ مَوْطِنٍ حَثَّ النَّهْيِ شَرْعًا عَلَى إِجْلَالِهِ
 حَرَمٌ مَتَى مَا حَلَّ ذُو خَيْفَةٍ يَأْمَنُ بِهِ فِي حَالِهِ وَمَالِهِ
 أَمِيرَ الْمَلَائِكِ بِالْدُّعَاءِ لِأَهْلِهِ أَهْلُ الْفَخَارِ نِسَانَهُ وَرَجَالَهُ
 وَارَى ثَرَاهُ مَنْ لَأَجَلَ سَنَاهُ خَرَّ الْمَلِكُ الْمَخْلُوقُ مِنْ صَلَاحِهِ
 وَنَجَا ابْنُ لَامَكٍ فِي السَّمَيْنِ إِذَا سَتَوَى مَا هِ الرَّدَى بِسَهْوِهِ وَجِبَالِهِ
 وَنَجَا ابْنُ آزَرَ مِنْ لَطَى الْإِشْرَاكِ إِذَا نَالَ الَّذِي قَدْ نَالَ مِنْ تَمْشَالِهِ
 وَفُدَى ابْنُ هَاجَرَ حِينَ تُلَّ وَإِنَّهُ كُمَسَلَّمٌ لِأَبِيهِ فِي أَفْعَالِهِ
 وَاحْتَلَّ إِدْرِيسُ مَكَانًا فِي السَّمَاءِ أَسْمَى ، مَنَالُ النَّجْمِ دُونَ مَنَالِهِ
 وَالْمَرْءُ يُخْلَقُ مِنْ ثَرَى الْقَبْرِ الَّذِي سَيَكُونُ مُنْطَبِقًا عَلَى أَوْصَالِهِ
 هَذَا حَدِيثٌ صَحَّ عَنْهُ لَدَى الْأَلَى نَظَمُوا عُثُودَ مَقَالِهِ وَفِعَالِهِ
 وَلِذَاكَ قَالَ بِفَضْلِ طَيِّبَةِ مَالِكٍ وَهُوَ الْإِمَامُ الْمُقْتَدَى بِمَقَالِهِ
 إِذَا لَا تُرَابٌ أَجَلٌ مِنْ تُرْبِ نَشَا مِنْهُ حَبِيبُ اللَّهِ مِنْ أَرْسَالِهِ
 فَهَنَّاكَ يُضْحِي الْجَسْمُ مُتَّصِلًا بِمِنْ أَشْجَاهُ وَهُوَ الْقَلْبُ يَوْمَ فِصَالِهِ
 أَسْعِدْ بِمُجْتَمَعِينَ فِي دَارِهَا شَخْصٌ الَّذِي قَنَعَا بِطَيْفِ خَيَالِهِ
 مَوْلَايَ إِنْ لَمْ تُؤْتِ عَبْدَكَ سُؤْلَهُ وَرَدَدْتَ خَائِبَةً يَمِينَ سُؤْلِهِ

لا عَتَبَ بل عُتِبَ فما هو صالحُ بك للذى قد ساءَ من أعماله
 لكنَّ سُنَّةَ سيدى فى عبده إسعافه ما دام من سُؤاله
 والصفحُ عن زلاته ولو أنها كالرملِ عَدًّا فى جميعِ رماله
 ومتى يَجِدُ فالغيثُ إلا أنه عمَّ الخليفةُ كُلَّها بنواله
 ومتى يَجِرُ فالليثُ إلا أنه يَضْحَى المُجارُ لَدَيْهِ من أشباله
 فالخائفون المَعْسرونَ مؤمنو نَ ومُوسرونَ بجاهه وبماله
 هَذِي خِصَالُ من خِصَالِ حِجَّةٍ ومن الذى يُحْصِي شريفَ خِصاله
 صَلَّى عليه إلهنا من مُرسَلٍ وَجَدَ الوجودُ الخيرَ فى إرساله

ومآله أيضاً تقبل الله منه ، ولا صرف وجه وقايته بمنه وكرمه عنه :

خُذْهُ أَيَا صَاحِ خُذِ تَمَثَّلْ نَعْلٍ قَدْ حُذِيَ
 على نعالِ أَحْمَدِ مُنْجِى الأَنَامِ المُنْقَذِ
 السَّيِّدِ الْخِتَارِ مِنْ قَبِيلَةٍ وَفَخِذِ
 ذِي الطَّوْلِ ذِي الْفَضْلِ الذِّى حِلَاةُ لا تُحْصَى بِذِي
 وانظُرْ إِلَيْهِ نَظْرَةً يُجَلِّى بِهَا طَرَفُ قَذِي
 وَقَبِّلْنَاهُ دَائِمًا تَقْيِيلَ ذِي تَلَذُّذِ
 وَقُلْ إِذَا قَبَّلْتَهُ ذِي قُبُلٍ تَلَذُّذِ
 وَنَادِهِ يَا سَيِّدًا بَغِيرِهِ لَمْ أَلِدْ
 شَكْوَى مُحِبٍّ مَا دَرَى غَيْرِ الْهَوَى مِنْ مَأْخِذِ
 رُمَى بِنَبْلِ اللَّتَوَى صَوَائِبِ لَمْ تُشْجِذِ
 لِكِنَّهَا مَهْمَا رُمَى بِهَا فَلَيْسَ تَنْفُذِ

وله أيضاً فى
النعل الكريمة

فقلبه من رَشَقِهَا كمثل جِلْدِ الْقُنْفُذِ
وقد رَجَوْتُ وَالرَّجَا نَهَجِي الذي قد أَحْتَذِي
إِدَالَتِي بِالْقُرْبِ مِنْ هَذَا النَّوَى الْمُسْتَعْوِذِ
وبالْجَلالِ النَّبَوِيِّ الْمَهْشَمِيِّ تَعَوُّذِي
من أن يَضِيعَ لِي هَوًى بِهِ فَوَادِي يَغْتَنِذِي
فِيهَا فَوَادِي بِالْعَرَا أَفْعَى الْخُطَا فَاةً أَنْبِذِي
وإن تَسِرْ لِلَّسَعِ مِنْ زُمُرُذِ الدُّجَى خُذْ
وَأَرِهِ لُمَقَةً لَتَتِيهَا كَيْ تَسِيلَ ذِي وَذِي
فَذَاكَ فِي الْأَفَاعِي مِنْ عَوَائِدِ الزُّمُرُذِ

[٦٩٨]

ومما له أيضا رحمه الله تعالى .

وله أيضا فيها

يَا مُعَرَّمًا رَسُولِ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِثْلَهُ
هَذَا مِثَالُ نَعَالِ شِرَاكُهَا^(١) ضَمَّ رِجْلَهُ
أَشْرَفَ بِهَا نَمَّ أَشْرَفَ نَعْلًا تُمَائِلَ نَعْلَهُ
فَقَبَّلَنَ فِيهِ مِثْلِي تَقْبِيلَ صَبٍّ مُوَلَّهُ
فَرُبَّ شَاكِي اشْتِيَاقٍ نَالَ الشِّفَاءَ بِقُبْلِهِ
يَا رَبِّ أَشْكُوكَ شَوْقِي وَالشَّوْقُ أَعْضَلُ عِلَّهُ
فَقَرَّبَ الدَّارَ مِمَّنْ أَبْنَتَ فِي الرُّسُلِ فَضْلَهُ
فَهُوَ الَّذِي بَنَوَاهُ فَوَادَ عَبْدِكَ وَلَهُ
صَلَّى الْإِلَهِ عَلَيْهِ مِنْ شَارِعٍ خَيْرَ قُبْلِهِ

(١) في ص : « قبالها » .

وفاسخ كلِّ حُكْمٍ وناسخ كلِّ مِلَّةٍ
ما حرَّكَ الوجدُ قلباً وأرَّقَ البُعدُ مُقلَّةً

ومما له أيضاً ، تقبَّل الله عمله ، وبلغه أمله :

انْظُرْ إِلَى هَلَالَا فاق البُدرَ جَمَالَا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ رَبِّي فَقَدْ أَفْكَتُ مَقَالَا
فَالْمَحْقُ لَيْسَ مُصِيبِي وَقَدْ يُصِيبُ الْهَلَالَا
لَكِنْ حَكَيْتُ نِعَالَا لَسَيِّدٍ قَدْ تَعَالَا
شَأَى النَّبِيِّينَ جَاهَا وَخُظُوءَ وَخِلَالَا
فَإِنْ شَكُوتَ بِشَوْقٍ فَوَادَكَ الصَّبَّ نَالَا
فَلْتَلِمْنِي فَلْتَمِي يَشْفِي أَشْيَاقَا تَوَالِي
نَعَمْ لَتَمُتْكَ شَوْقَا لِمَا حَكَيْتِ النَّعَالَا
وَمَنْ يَظُنُّ بِنَعْلِ شَغِفْتُ ظَنَّ الْمُحَالَا
بِلَابِسِ النَّعْلِ هُنَا وَمِنْهُ تَنْبَغِي الْوَصَالَا
يَا رَبِّ يَشْكُوكَ قَلْبِي يَشْكُوكَ صَادَا وَدَالَا
فَقَرَّبَ الدَّارَ مِمَّنْ بَرَأْتَ فَأَيُّ وَدَالَا
فَمَا لِأَحْمَدَ نَذْرِي فِي الْمُرْسَلِينَ مِثَالَا
هَذَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ وَالْكُلُّ حَازَ الْكَمَالَا
فَفِي السَّمَاءِ نَيِّرَاتٌ وَكُلُّهَا يَتَلَالَا
وَلَيْسَ مِنْهَا مُضَاهٍ لِلشَّمْسِ فِي النُّورِ لَا لَا

[٦٩٩]

وله أيضاً في
ذلك الغرض

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهٌ بِهِ أزالَ الضَّلَالَا
 مَا لَحِقَ الْجَزْمُ فِعْلًا أَوْ أَرَمَ النَّصْبُ حَالَا
 نَمَ سَلَامٌ عُبيدٍ مَا إِنَّ عَنِ الرَّقِّ حَالَا
 يَخْصُ مَوْلَى كَرِيمًا عَمَّ الْعَبِيدَ دَنَوَالَا
 وَآلَهُ خَيْرَ آلٍ إِنَّ عَدَدَ الْخَلْقِ آلا
 مَا أَطْلَعَ الْأُفُقُ شَمْسًا وَأَنْشَأَ الْجَوُّ آلا

ومن قوله أيضا ، رحمه الله ، وهي من أول ما قاله :

وله أيضا في ذلك

بَكَيْتُ وَقَدْ رَأَيْتُ مِثَالَ نَعَالِهِ بَكَاءَ هَوٍ عَنِ الْأَحْبَابِ وَهُلَّةُ
 وَمَا حُبُّ النِّعَالِ أَسَالَ دَمْعِي وَلَكِنْ حُبٌّ مَنْ كَرُمَتْ بَرَجِلُهُ
 مُحَمَّدًا الرَّفِيعَ الْقَدْرَ أَغْنَى حَبِيبَ اللَّهِ أَحْمَدَ خَيْرَ رُسُلِهِ
 عَلَيْهِ سَلَامٌ ذِي مِقَّةٍ مَشُوقٍ إِلَيْهِ ظَلٌّ مُعْتَصِمًا بِمَحَبَلِهِ
 مَدَى افْتَخَرَتْ سَمَوَاتُ وَأَرْضُ عَلَى حُرِّ الْخُدُودِ بَوَاطِئِ نَعْلِهِ

وله رحمه الله قصيدة مطولة ، نحا بها منحنى رائية أبي الربيع بن سالم ، وهي :

وله في ذلك وقد

نحا منحنى رائية
 أبي الربيع بن
 سالم

تَبَدَّتْ لَنَا وَالشَّوْقُ يُقَدِّحُ زَنْدَهُ بِقَلْبِ شَجٍّ لَا وَجْدَ يُشْبِهُ وَجْدَهُ
 نَعَالُ رَسُولِ اللَّهِ أَشْرَفُ بِنَعْلٍ مَنْ قَدْ اخْتَصَّ بَيْنَ الرُّسُلِ بِالسَّرِّ وَحْدَهُ
 وَإِلَّا تَسْكُنَ نَعْلُ الرَّسُولِ فَإِنَّهَا مِثَالُ وَكَمٍ نَذِيرٌ يُذَكِّرُ نَدَهُ
 فَيَا نَاطِرًا مِنْهَا حَدِيقًا تَعَاهَدَتْ عَهْدُ الْحَيَا تُرْوِي رُبَاهُ وَوُهِدَهُ
 فَلَهُ مَا أَذْكَى وَأَطْيَبَ نَفْحَهُ إِذَا حَرَكَتْ رِيحُ الصَّبَابَةِ رَنْدَهُ

[٧٠٠]

وأطلع شوق الحب بذرا بهاره
 على القور قبل فيه تقبيل فاخر
 ونزه به طرًا جفا النوم جفنه
 فربت ذى وجد رأى أثرًا لمن
 أمولاي يا أعلى النبيين منزلاً
 نداء عبيد أضرم الشوق وجدّه
 [وإن الهوى مالم يبين لك خمره
 بحق هواي المحض فيك الذى متى
 أنلتى ما أبغيه منك وإنه
 بأشرف جثمان لأشرف روح من
 هو المجد لا مجد يائله وهل
 سكرت وما خمرى سوى حبه ومن
 فيا طيبة الغراء أسعد منزل
 ألا فاحملى بهذا الفخار وحققى
 ونوطى على جيد العلاء عده ترى
 بأعضاء مختار من الخلق مرسل
 به نسخت أديان من كان قبله
 به شاد أبراج العلاء الله ربّه
 ورد به عنا الردى وهو مقبل
 رسول على الأرسال فضله الذى

وشمس تروم الغرب فى الصيف وردّه
 بمولى أغرّ الله فى الخلق عبده
 ومرّغ به خدًا دم الجفن خدّه
 له وجدّه يومًا فاطماً وجدّه
 لدى الله والمختص بالفضل عنده
 فباح بحب أبرم الصدق عقده
 بمنقودها والسقط لازم زنده
 يقس بهوى فى الدهر أنفى وحدّه
 زيارة قبر شرف الله لحدّه
 وقى الله مما يوهن المجد مجده
 يماثل صفح السيف فى القطع خدّه
 حسا خمر هذا الحب لم ينخش خدّه
 تود^(١) النجوم الزهر تنزل وهده
 بأنك قد شرفت بالحمل بنده
 مشرفة أيضا بذلك عقده
 إليهم بدين أوثق الله عهدّه
 ولا دين يأتى الخلق للحشر بعده
 ونلّ به عرش الضلال وهده
 وما كان لولا جاهه ليردّه
 حباه بما لا يبلغ النطق عدّه

(١) فى هامش ص : « تبنى » .

وإن كان رُسُلُ الله صَلَّى عليهمُ
حَكَمُوا سُورَ القرآنِ نُورًا وحِكمةً
وفي الحمد ما فيها من الشَّرَفِ الذي
وَحَسْبُكَ أَنْ يَبْدَأَ وَيَخْتِمَ قَارِئٌ
كذلك رَسولُ اللهِ أَوَّلُ آخِرٍ
أُمولايَ ذَا قَصْدِي إِلَيْكَ وَأَنْتَ مَنْ
فِي طَيْبِ عَبْدٍ وَاصِلِ أَرْضِ طَيْبَةٍ
مَعَاهِدُ أَمْسَى الْآنَسُ مِنْهَا بَظْهَرِهَا
وَأَصْبَحَ مَنْقُولًا إِلَى بَطْنِهَا فَيَا
سَعِيدُ صَعِيدٌ مِنْهُ أَنْشَى أَحْمَدُ
فَكَانَ كَمَثَلِ الْوَرْدِ فَارَقَ وَرَدَهُ
أَخِيرَ كَرِيمٍ لَيْسَ تَطْرُقُ آفَةٌ
عَلَيْكَ وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْعَلَمِ الَّذِي
بَلِ الْعَالَمِ الْإِنْسَى عَمُومًا وَمِنْهُمْ
هِيَ الْأُمَّةُ الْعَالِمَا الَّتِي هُدِيَتْ وَمَنْ
صَلَاةً وَتَسْلِيمًا وَرُحْمَى مَدَى انْتَمَى
عَدِيدَ صَنُوفِ الْخَلْقِ عُلُومًا وَأَسْفَلَ
وَلَسْتُ بِمَجِيزًا أَنْ أَضِيفَ إِلَى كَذَا
كَشَمْسِ الضَّحَى كَالْمَسْكَ كَالْقَطْرِ لَمْ يَنْطُ^(٢)
أَجَاعِلَ تَشْبِيهِ حَقِيقَةَ التَّفَتِ
فَشَمْسِ الضَّحَى وَالْمَسْكَ وَالْقَطْرَ عَابَهَا

وَسَلَّمَ مَا ضَدَّ يَنْفَرُ ضَدَّهُ
فَأَحْمَدُ قَدْ أَضْحَى مِنَ الرُّسُلِ حَمْدَهُ
يُبَيِّنُ لِمَهْدَى مِنَ النَّاسِ رُشْدَهُ
بِهَا وَمُصَلِّ فَرَضَهُ ثُمَّ وَرَدَهُ
لَهُ الْمَنْزِلُ الْأَعْلَى الَّذِي لَنْ نَحْدَهُ
يَبْلُغُ ذَا الشَّوْقِ الْمُبَرَّحِ قَصْدَهُ
يُمَرِّغُ فِي تِلْكَ الْمَعَاهِدِ خَدَّهُ
لَذَى وَحْشَةٍ قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ بَعْدَهُ
وَجَاهَةً بَطْنِ قَدْ وَعَاهِ وَسَعْدَهُ
وَفِيهِ الَّذِي أَنْشَأَ بِهِ الْفَضْلَ رَدَّهُ
لِمَنْفَعَةٍ مَا ثُمَّ عَاوَدَ وَرَدَهُ
فَتَى حُبِّي لَهُ لِلطَّارِقَاتِ أَعْدَهُ
أَفَادَ الثَّنَا بَهْرَ السَّنَى وَمَعْدَهُ^(١)
خُصُوصًا فَرِيقَ أَكْمَلِ اللَّهِ جَدَّهُ
أُرِيدَ بِهِ خَيْرٌ مِنَ الْخَلْقِ يَهْدَهُ
لَكَ الْفَضْلُ يَا قَدْ الْوُجُودَ وَفَرَدَهُ [
صُمُوتًا وَذَا نَطَقَ جَمَادًا وَضِدَّهُ
بَعْدَى فَيَأْتِي مَا لِسَانِي حَدَّهُ
بِهِ بَرَقَ الْأَفَقُ الصَّقِيلُ وَرَعْدَهُ
غَلِطَتْ فَلِلْبَابِ الْجَازِي رُدَّهُ
أَخُو النَّقْدِ وَالْبَرْهَانِ يَعِضِدُ نَقْدَهُ

(١) كَذَا فِي م . وَفِي م : « أَجَادَ الثَّنَا قَهْرَ الثَّنَاءِ وَمَعْدَهُ » . (٢) فِي م : « يَنْطُ » .

بكشف وإمساك وهذا دليله
وتلك التي شبهتها سلمت سنى
صلاة وتسليما ورُحمى على الذى
على العروة الوثقى على القمر الذى
على منقذ الإنسان من حُفر الردى
على من له الخلق العظيم على الذى
على من له المجد الصميم على الذى
على أحمد المعروف فى ظهر آدم
على مُجْتَبَى قد نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ
على ذاك والإيضاح لم يتعمده
لجاءت كما شاء الكمال وودّه
سنى وحي ذى العرش المجيد أمده
على الخلق ظل الأمن والمنّ مده
ولولا سنّاه كان فيها يُدهده
أبان جميع الرسل والسُكُتِبِ جدّه
به شرفَ الرحمن آدم جدّه
بتريده مُشكّر الإله وحده
على مُصْطَفَى قد طهر الله برّده

له المعجزات اللائحة لُحْن لَطَرْفٍ مَنْ
فمنها انشقاق البدر ثم نزوله
ومنها حنين الجذع بالمسجد الذى
ومنها طلوع القرص بعد غروبه
ومنها سقوط السيف من كف غورث
ومنها انفجار الماء من بين أنامل
إلى أن روى منه الحميسُ فيا له
ومنها نماء التمر حتى قفى به
ومنها كلام الشاة تهنى عن أكلها
ومنها كلام الضبّ والجمل الذى
وكيف مواليه يريدون نحره
نفى نومه سعدٌ وأثبت سُهده
رأه الذى التوفيق وافق رصده
بطيية لما آانس الجذع فقده
وما بسوى دَعْوَى دعاها استردّه
وقد كان مقدام الضلال ونجده
نُقَسِّمَ فى أبناء آدم رفده
خميساً أطاب الله ذو الفضل وزده
ديون أبيه جابرٌ حين جدّه
فلم يبلغ السّامُ بالسّم قصده
شكا كدّه الموهى قواه وجلده
ولما يُراعوا فيه بالأمس كدّه

[٧٠١]

ومنها البعيرُ المبطى السَّيرِ ساطه
إلى غيرها من معجزاتِ بواهر
تُكاثِرُ رَمْلَ الأرضِ عَدًّا وَتَبْتَهَا
وتُزْرِى سَنَى بالتَّيْرَيْنِ تَوْصَلَا
فما وَخَدَتْ من بعدِذا التَّجَبُّ وَخَدَهُ
فضَحْنَ عَدُوًّا باغِيًّا رَامَ جَعْدَهُ
وتَفَضَّلُ سِلْكَ الدَّرِّ حُسْنًا وَعَقْدَهُ
من الفَلَكِ المَجْلُوِّ بالصَّحْوِ كِبْدَهُ

ومما به قد خَصَّه اللهُ رَحْمَةً
صَابَتْهُ الْعُرَى الْإِلَى سَمِعُوا فِي
هُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِسُيُوفِهِمْ
وَأُولَهُمْ سَبَقًا وَحِيدُهُمْ حَلَى
مُقَرَّبُهُ مُحِبُّوبُهُ مُصْطَفَاهُ مِنْ
خَلِيفَتِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِي لَهُ
مُيَمِّمٌ ضَلَالِ الْيَمَامَةِ غَازِيًا
فَمَا سَلِمَ الْكَذَّابُ مِنْهَا رَيْسُهُمْ
أَقْلَوِيلُهُ الزُّورِيَّةُ الْإِلَاءُ قَدْ دَجَتْ
مُقَاتِلِ أَهْلِ الرُّدَّةِ الرُّجَسِ الْإِلَى
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَصْدَقِ صَاحِبِ
وَفَضْلًا وَغَفْرًا قَدْ قَضَى اللهُ خُلْدَهُ
قُلُوبِهِمْ قَدْ أَسْكَنَ اللهُ وَدَّهُ
كَمَا حَذَلُوا نَسْرَ الضَّلَالِ وَوَدَّهُ
وَأَوَّجَهُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ وَعِنْدَهُ
جَمِيعِهِمْ لَا خَلْقَ يَعْلَمُ نِدَّهُ
مِنَاقِبُ عُرُوْدِ الطَّيِّبِ تُنْسَى وَنِدَّهُ
لِيُرَوِّى دَمًا قُضِبَ الْحَدِيدُ وَمُلْدَهُ
مُسَيِّمٌ خَنْزِيرِ الضَّلَالِ وَقِرْدَهُ
وَرَأْسُ الدُّجَى لَا شَكَّ بِالنُّورِ يُشْدَهُ
نَحَوًا سَدًّا بَابِ حَرَمِ اللهِ سَدَّهُ
وَأَبْدَلُهُمْ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ جَهْدَهُ

وثانِيهم الموصوفُ بالشَّدَّةِ الَّتِي
مُلَاقِي خُطُوبِ الدَّهْرِ مِنْهُ بَعِزْمَةٌ
مَكْسَرٌ كَسَرَى الْفَرَسَ وَاضَعَ تَاجَهُ
مُقَصِّرٌ أَعْمَارِ الْقِيَاصِ بِالْقَنَاسِ
بِهَا دِينَهُ قَوَى الْإِلَهِ وَشَدَّهُ
تَحَلُّ مِنْ الْخَطْبِ الْكَرِيهِ أَشَدَّهُ
مُقَلَّبُهُ بِالْعُودِ يُظْهِرُ زُهْدَهُ
مُدِدْنِ وَالصَّمَّ صَامَ مَزَقَ غَمْدَهُ

مواصل أسباب الهدى النَّدسُ الذي عن الحقّ ماشى من الدَّهر صدّه
[أميرهم فاروقهم عُمرُ الذي مدى العمر لم يفرق من الأمر آده

وثالثهم ذو المهجرتين الفقى الذي شكاهجره شخصُ النِّعيم وصدّه [٧٠٢]
مجمع ما فى الذِّكر من سور ومن متى ردّ دأع قد دعا لم يرده^(١)
[مجهز جيش العسرة الفاضل الذي تردى رداً غيرُه لم يرده]
فذلك عثمانُ الشهيدُ بداره بسيف شقى فى لظى يتدهده
أبو عمرو المعمور قلباً بذكر من له من ضروب الصَّخر أنطق صلده
فسبّحت الحصباء فى كفه كما أتى فى حديث أكثر الناس سرده

ورابعهم من البسته يد العلا أجل قميص للعلا وأجده
[ووَّشَّحه إيمانه وجنَّاه أجده حسامٍ للطلّى وأحده]
تسمّى لتفريق الفقار به بذى الـفقار فما أفرى وأقطع حده
هو السيف لم تجل الصِّياقل صفحه ولا رَقَمَتْ أَيْدَى الْقِيُونِ فِرْنده
تزوَّجَ بنتَ الموتِ بكراً صداقها أجل صدّاقٍ أحكم الحبِّ عنده
وليس سوى الأرواح أشركن بالذى براهنٌ ما أصكلاً وعجّلَ نقده^(٢)
ومن جنة الفردوس كان خروجه لهدى وتلك الدار كانت سرده
فيا عظم ما أبلى به فى مواطن تشبَّ رأسَ الطفل لم يعُدْ مهده
إمام هام قاسر^(٣) كل قسور ومدركه لو كانت الريح نهده
به فتح الرحمن خيبر عنوة وسدَّ به ما قبله لم يسده

(١) يشير إلى مسارعة عثمان إلى الإسلام فى الوقت الذى كان الناس فيه يردون دعوة

الداعى إليه. (٢) كذا فى ط، ص. وفى م: « براهن تال كل نجل وفقده ».

(٣) فى ط: « قاهر »، وهما بمعنى.

وكان رسول الله قال لأعطين
 فتى ودّه خــــلاقه وأودّه
 فلم يك يُعطها سواه كرامة
 [وقد كان مشدود الحاجر أرمداً
 فهب هبوب الريح قسور جحفل
 وبالباب باب الحصن يسراه ترست
 هو الآية العظمى التي طُفئت به
 ومن كان مولاه الرسول فإنه
 أبوه الذي ربّى النبيّ ولم يزل
 متى خاضت فيه قریش تلقّهم
 ومن قوله فيه يعظم شأنه
 « وأبيض يستسقى الغمام بوجهه »
 فياحمرتنا إن مات لم يحن زهرة
 ولكنها الأقدار تنفذ بالذي
 فينأى الذي أدنى ويُدنى الذي نأى
 ونجلاه سبطا المصطفى السيّدان من
 حبيباه في الدارين ريجانتاه لم
 وأمهّما من أحمد بضعة ومن
 أفاطم لم يبلغ نصيفك فاضل
 فياصاح قل لا مجد يشبه مجده
 أبو الحسن الأسمى على العلا الذي

غدا راية الفتح المبين وبنده
 كما ودنا والله ينصر ودّه
 بها اختصّه من شدّ بالعَضِدِ عضده
 ففتّح ريق الحب ما الداء سده
 تولّى به ربُّ البرية عضده [
 فله منه قسور ما أشده
 من الكفر ما قد أضرم الجهل وقده
 كذلك مولاه فطوباك عبده
 له حاميا في السّرّ والجهر جهده
 خصيم اللسان الهاشمي ملده
 وينشر ما الرحمن أودع مجده
 ثمال يتيم كدر التيمم وزده
 قد أبرزها الإيمان بالله وحده
 نود وقد تجرى بما لن نودّه
 وكلّ بعلم يجهل العبد قصده
 بنى المجد لا ضيم ينال معدّه
 يزل منهما يستنشق الورد وزده
 يكن من رسول الله جزءا يمده
 من الخلق لم يبلغ أولو الفضل مدّه
 وصوتك مهما قلت « لا » فلتمدّه
 هو البحر لم تُدرِك يد الجزر مدّه

وخامسهم بحر الندى الأسد الذى
مُفَدَّى رسول الله بالوالدين إذ
وبشَّرَ من قد حَزَّ بالسيف رأسه
بنار لها غيظٌ على كل قاتل
حواريه مَنْ قد حَوَى زِيَّه سَنَى
أبو عابد الله الزبير الذى امتطى
يَبْذُ ليوث الباس أَيْدًا وأُسَدَه
مَلَأ قلبه المغسول بَرْدًا وكَبَدَه
لثيمَ زمان كان فيه وَوَعَدَه
بعمد فما أَرَدَى وأَشَامَ عَمَدَه
سنى العلم بالرحمن كان مُمَدَّه
مُطَهَّمَة المجد الأثيل وجُرَدَه

وسادسهم ذو الجود والشودد الذى
موقى رسول الله بالكف جودها
فَشَلَّتْ وقد سَلَّتْ من الهند مرهفا
فطوبى لها يُمْنَى جنت ثمر المنى
[فقل طلحة ذو المجد طلع ثقياة ^(١)]
بعد الصدى اللهبان للغوث عَدَّه
يُحَلِّ من العيش المهني رَغَدَه
محلى صقيلا أ كسب الفخر هِنَدَه
وقد حَلَيْتْ قُلب النعيم وَقَلَدَه
لسان بيان الشرع أ حَكَمَ نَضَدَه

وسابعهم ذو الفضل أقصد سالك
ومفرغ قطر الزهد يجعل بينه
أمير أولى الإيمان عامرهم أبو
أدلَّ طريق الهدى وأُسَدَه
وما بين يأجوج الزخارف سَدَه
عبيدة ذو الخير الذى لَنْ نَعَدَه

وثامنهم ذو المجد فى السال والتقى
ملا ذِكْرُه بطن السماء وماله
وكم بات لم يَطْعَم وأطعم غيره
مُعَمَّ خير الرُّسُل فاتح دُومَة
فله ما أجدى وأبرك وَجَدَه
ملا بطن هذى الأرض غَوْرًا ونَجَدَه
وقام ولم يَتْرُك من الجوع وَرَدَه
كما وَدَّ خير المرسلين وَوَدَدَه

(١) كذا ورد هذا البيت فى ص . وفى م : « طلع تنال من » .

فذاك ابن عوفٍ مُتَلِّيةُ المجدِ طَرَفُهُ أَجَلُ فِتْيٍ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيُمَدِّهِ

وتأسمعهم ذو الرِّحْمَى بالنبل والدُّعَا فَمَنْ يُرْمَمُ مِنْ قَوْسٍ وفيه يُودِّهِ
له السيرة الحُسْنَى له النَّجْدَةُ التي رمت فارسَ الكُفْرِ الصُّرَاحَ وكُرِّدَهُ
فعوَّضهم من عيشهم واعتزازهم بموتٍ وذُلٍّ يعذب الموتِ عنده
فكم فرسٍ قد راحَ أشهبَ واغتدى من الدَّمِ يحكي أشقر اللّونِ وَرَدَهُ
وكم فارسٍ من فارسٍ بشماله عِنانٌ فَقَدَّتْ منه يُمْنَاهُ قَدَّهُ [٧٠٤]
فيا بنِ أبِي وقاصٍ أنك واقِصُّ من الكُفْرِ جِيلاً أوجب الله طَرْدَهُ
ويا سعدُ يا خالَ النبي لقد سَمَتْ فروعُ نِجَارٍ ثابتٍ كنتَ سَعْدَهُ

وعاشرهم ذوالنُّسْكَ كالمِسْكِ ذكرُهُ سَعِيدٌ ولا سعدٌ يماثل سَعْدَهُ
فتى المَكْرُمَاتِ الأكرم المَاجِدُ الذي يُزَيِّنُ جَمَعَ المجدِ طُرّاً وَوَفْدَهُ
سَلَالَةُ زَيْدِ الفَخْرِ أرشد^(١) مُهْتَدٍ عن الشُّرْكِ جَدُّ سابقٍ قد أَصَدَّهُ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نُفَيْلٍ أُمّةً وَحْدَهُ .

ومما به أيضا حبّا الله أَحَدًا وَعَزَّزَ ذا الدينَ العَزِيزَ وَجُنْدَهُ
ذَوُو المجدِ عَمَّاهُ وَجَعْفَرُ الذي ملائِكَةُ الرُّضْوَانِ وَارْتَهُ أَحَدَهُ
فَحْمَزَةُ لَيْثُ الله لا لَيْثُ غَابَةِ يُصَادِرُهُ إِن هاجَتِ الحربُ جُرْدَهُ
له الفَتَكَاتُ البِيضُ سَوَدَتِ العِدَا وزادت سَنَى بدرِ الجهادِ وَأُحَدَّهُ

(١) في م : « أول » .

وكان إذا ما قرَّب الطرفَ وامتطى
قَرَاهُ بِرِيشِ الرُّأْلِ يُعْلِمُ بُرْدَهُ
ولا بُرْدَ إِلَّا نَثْرَةً عَرَبِيَّةً
لأَمْثَالِهَا دَاوُدُ قَدَّرَ سِرْدَهُ
فَيُزْعَدُ مِنْهُ الْقِرْنُ حَتَّى كَأَنَّمَا
بِهِ نَافِضٌ^(١) قَدْ قَرَّبَ الرُّوْعُ وَرَدَهُ
إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ مِنْهُ شَهَادَةً
مُبَيَّنَةً عَدَنَ^(٢) الْجَزَاءَ وَخَلَدَهُ
عَلَى يَدِ أَشَقَى الزَّنَجِ رَامِيهِ غَدْرَةً
بِحَرْبَتِهِ شَلَّ الْمُهَيِّمُ زَنْدَهُ
فَنَادَى الَّذِي قَدْ أَخْفَى الذَّنْبُ قَلْبَهُ
بِأَسْوَدَ مِمَّا أَخْفَى الرَّبُّ جِلْدَهُ
بِقَتْلِكَ يَا وَحْشَى سَامِيٍّ سَامِيَهَا
أَصَابَ سَوَادُ الْجِلْدِ حَامَاً وَوُلْدَهُ

وعباسُ العَمِّ الْأَعْمُ مَكَارِمًا
تَقَصَّرُ مِنْ نَفْرِ السَّكَامِ أَمَدَهُ
أَبُو الْخُلَفَاءِ سَاقِي الْحَجِيجِ أَجَلُ مَنْ
بِهِ يُصْرَفُ الصَّرْفُ الْجَلِيلُ وَيُنْدَهُ^(٣)

وجعفرُ الطَّيَّارِ ذُو الْمَشْهَدِ الَّذِي
مَلَأَتْهُ الرُّحْمَى غَدَتِ فِيهِ شُهَدَاةُ^(٤)
مُحَمَّرُ رَايَاتِ الْهُدَى بِدَمِ الْعِدَا
بَنَى الْأَصْفَرَ الْأَسَدِ الْأَلَى لَمْ يَدْهَدُوا^(٥)
مُقَدِّمُ يَمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ قُرْبَةً
إِلَى مَنْزِلٍ فِي دَارِ عَدَنٍ أَعَدَّهُ
وَأَمْسَكَ بِالْعَضْدَيْنِ بَعْدَهَا اللَّوَا
لِوَاءِ الْهُدَى يَبْغِي مِنَ اللَّهِ عَضْدَهُ

وبعدَهُمُ الْأَنْصَارُ وَالْكَلُّ أَنْجَمُ
قَدْ أَطْلَعَهَا مَوْلَاهُ تَكَلَّأَ مَجْدَهُ
بِهِمْ خُضِدُ^(٦) الْإِشْرَاكُ شَرُّ قَاوِمِ غَرِبَا
وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ أَعْوَصَ خَصْدَهُ !

(١) النافض : ضرب من الحمى ينتفض منه الجسم . (٢) في م : « عدل » .
(٣) ينده : يبعد ويترد . (٤) شهد : جمع شاهد .
(٥) لم يدهدهوا : يريد لم يهزموا .
(٦) في م : « خد » .

{٧٠٥}

ذَوَا بِلَهُمْ قُضِبَانِ بَانَ نَوَاعِمُ
تَصِيبُ قُلُوبِ الشَّرِكِ طَعْنًا^(١) كَأَنَّهَا
وَالَا فَبَيْنَ الشَّرِكِ حَقْدٌ وَبَيْنَهَا
وَأَسْيَافُهُمْ زُرْقٌ رِقَاقٌ كَأَنَّهَا
ذُكُورٌ وَيَعْرُوهَا الْمَحِيضُ كَأَنَّهَا
فِيَا مَعْشَرَ السَّادَاتِ وَالْكُلِّ مِنْكُمْ
كَأَنَّ عُدَاةَ الدِّينِ زُرْعٌ مُحْطَمٌ
فَأَقْرَرْتُمْ عَيْنَ الرَّسُولِ وَحَسْبُكُمْ

قَدْ أَنْبَتَنَ سُوسَانَ الْحَدِيدَ وَوَزَدَهُ
تُحِبُّ الْقِضَا الْجَارِي فَتَقْصِدُ قَعْدَهُ
فَتَطْلُبُ مِنْهُ مَوْضِعًا ضَمًّا حَقْدَهُ
نِطَافٌ^(٢) بِهَا قَدْ عَيَّنَ الْمَوْتُ وَرَدَهُ
إِنَاثٌ وَلَا غُسْلٌ عَلَيْهِنَّ بَعْدَهُ
يَرَى الصَّبْرَ فِي نَصْرِ الْهَدَى هُوَ شَهْدَهُ
تَوَلَّيْتُمْ بِالْبَيْضِ وَالشُّمْرِ حَصْدَهُ
بِذَا قَرَّةٌ تَهْدِي إِلَى الطَّرْفِ بَرْدَهُ

وَلِلَّهِ مِنْ أَزْوَاجِهِ أُمَهَاتُنَا
وَأَكْرَمُهُنَّ الدَّرَّةُ الْفَذَّةُ الَّتِي
خَدِيجَةُ ذَاتُ الْجَاهِ إِنْ يَنْشُدُ أَمْرُو
لَهَا الْأَثَرَ الْحَمُودُ وَالْأَثَرُ^(٣) الَّتِي
بَنُو الْمُصْطَفَى مَا دُونَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي
بَنُوها وَكُلُّ أَشْمُسٍ وَأَهْلَةٍ
وَفِيهَا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ مَكْرَمًا
أَلَا إِنَّهَا كَانَتْ تَزُورُ خَدِيجَةَ
فَبَشَّرَهَا جَبْرِيلُ عَنْ رَبِّهَا بِمَا

فَرَانْدُ عَلِيَاءَ قَدْ أُشْرِبْنَ وَدَّهَ
بِهَا زَيْنَ الْجَدِّ الْمُؤْتَلَّ عَقْدَهُ
بِهِ اللَّهُ فِي أَمْرٍ تَقَبَّلَ نَشْدَهُ
مَتَى مَرَّ عَرَفَ الطَّيِّبُ عَنْهُ تَرُدَّهُ
رَدَّاهُ رِدَاءَ الصَّبْرِ بِالشُّكْلِ قَدَّهَ
كَوَامِلُ رَسَمِ الْفَخْرِ حَازُوا وَحَدَّهُ
خَلِيلَاتِهَا وَالِدَمْعُ يُخْضِلُ خَدَّهُ
وَمِنْ خُلُقِ ذِي الْإِيمَانِ يَحْفَظُ عَهْدَهُ
لَهَا اللَّهُ فِي دَارِ النِّعَمِ أَعْدَهُ

(١) في م : « فيها » .

(٢) كذا في س ، والنطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي . وفي ط : « فطاف » ، وفي م : « مظاف » .

(٣) الأثر (جمع أثر كغرفة) : المكربة المتوارثة .

وعائشة بنت الحبيب عتيق المصدق إبعاد الرسول ووعد
فريدة نسوان الوجود مناقباً متى يبلى ذكر صالح تستجد
عليمة أهل العلم شمسهم التي جلت سدف الجهل المضل وسده

وحفصة ذات الصيت والمنصب الذي هو الطود لا ترق السوابق مهده
مواصله الأوراد والصوم دائماً مواصلة القلب الموحد عقده

وفدة مخزوم جلالاً مبلغاً قصي المنى في المنزلين معدة

وزينب ذات الطول والطول أنملاً مواهبها تنسى^(١) الغمام وعده

وزينب ذات الفضل بنت خزيمه لقد وصلت بالجوهر ما البخل جده

وسودة ذات الشؤدد العد^(٢) والتقى متى صد عن قلب تقى لم يصد هو

وميمونة الميمونة البرة التي لها الفضل لم ترق الفواضل نجده^(٣)

وبنت حبي ربة الصون والحيا صفيّة من أصفى لها السعد ودّه [٧٠٦]

ورملة رمل الأرض يمكن عدّه لنا والذي خصّت به أن نعدّه

(١) في ط: «تنسى». (٢) كذا في ط، ص. والعد: الكثير. وفي م: «العد».

(٣) في ط: «مجده».

وجارية العلياء جورية التي تقدُّ سناما أختها لم تقدَّه^(١)
هنا منتهى الأزواج والكل أشمس سناهن أسداف الجهالة يشده

وما رى من ترب لمارية التي هواها له لا صرد^(٢) يشبه صرده
سرية سرياته أي منزل يرقى^(٣) من الطود الفخاري فنده
فسرية الإنسان تسمو بمن لها تمرى وهذا الجد^(٤) تعلم جدّه
وإن لم تكن أمّا لنا فهي أم من لفقدانه أبدى حبيبك وجده

حبيبي حبيبي فطرة وشريعة قد أخكمتا من حبل حبي مسده^(٥)
مدحتك والأزواج والصحب والألى بقرباك شهب الفخر أجروا وورده
فعاد مجلى كل فخر قدّامس سكيتنا تولى القرد بالسوط جلده^(٦)
هو المدح ما كررته زاد طيبه فينسى مشور الأرى طعمًا وقنده^(٧)
فصله أيا فكبرى لعلك بانغ من البحر ذى الماء الروى العذب ثمده^(٨)
ولازم جناب المجد ذا المجد مادحا ودع جانبنا هند الجمال ودّعه
ولا تطلبي يا نفس غير شفاعتي ووضّل كريم^(٩) لا أحاذر صده
وعافيت شهبانها كلما عرا بلا توتت عن جنائي لهده^(١٠)

(١) كذا في الأصول ، ولم ندين معنى الشطر الثاني .

(٢) الصرد : الصافي الخالص من كل شئ . (٣) في ط : « يلقى » .

(٤) في ط : « الجد » . (٥) المسد : القتل .

(٦) القدامس : الشديد . والسكيت : آخر خيل الحلبة .

(٧) مشور الأرى : العسل المجموع من الحلية . واقند : عسل قصب السكر إذا عقد .

(٨) الروى : الماء الكثير . والتمد (يسكون الميم هنا وقد تحرك) : الماء القليل .

(٩) في ط ، ص : « نعيم » . (١٠) لهده : دفعه وورده .

وَقَمَعَ عُدَاةَ لَمْ يَخَافُوا إِلَهُهُمْ فَبَارَوْا ذِئَابَ الْقَفْرِ ضُرًّا وَعُقْدَةً
 مَذَاهِبُهُمْ ظَلَمَ الْعِبَادَ فَإِنْ يَقُلْ لَهُمْ نَاصِحَ كَفُّوا عَنِ الظُّلْمِ يَزْدَهُوا
 وَعَبْدُكَ بِالْإِيشَارِ دَانَ فَلَمْ يَكُنْ لِيَخْتَصَّ دُونَ الْغَيْرِ بِالْخَيْرِ وَحَدَّهُ
 فَعَمَّ بِهَذَا الْخَيْرِ كُلِّ مُوَحِّدٍ هَوَاكَ لَدَيْهِ خَيْرُ عِلْقٍ ^(١) أَعَدَّهُ
 وَسَلَّمْ رَبَّ الْعَرْشِ بَدَأَ وَعَوْدَةً عَلَيْكَ أَيَا فَذَّ الوجودِ وَفَرَدَهُ
 سَلَامًا يَضَاهِي هَدًى مَنْ قَدْ ذَكَرْتَهُ ^(٢) وَتَصْلِيَةً جَاءَتْ كَذَلِكَ بَعْدَهُ

انتهى ما أردت جلبه من كلام هذا الإمام ، في تمثال نعل المصطفى عليه
 الصلاة والسلام .

عناية الصالحين
 بالنعل الكريم

قلت : وقد اعتنى الناس والأئمة بتمثال النعل الكريم ، وكيف لا ، وحُقَّ
 على كل مؤمن أن يَفْلِي لمشاهدتها الفلا ، فإذا شاهدها قبلها ألفا وألفا ، وتوسَّل
 بصاحبها إلى الله [الكريم] زُلْفَى ، وَلَمْ تَرَاهَا أَنَّمَا ، وَأَزَاحَ [به] عن نفسه
 حُوبًا وَإِنَّمَا ؛ وجعلها فوق رأسه تاجا ، واستغنى بالتوسل بِمَنْ لَبِسَهَا فلم يَكُ
 إلى غَايِرِ الدهر مُحْتَاجَا . وقد أفردها أبو اليُمْنِ بنُ عَسَاكَرٍ بالتأليف ، وصنَّفَ
 فيها جزءا مُفْرَدَا ؛ وكذلك أفردها بالتأليف أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن
 خَلْفِ الشُّلَمِيِّ ، الشهير بابن الحاج ، من أهل المَرْيَةِ ، وكذا غيرها ^(٣) .

(١) كذا في ط . وفي س : «عقد» . وفي م : «خلق» .

(٢) كذا في م . ورواية هذا الشطر في ط ، س : «سلاما يضاهاى للذى مر ذكره» .

(٣) في هامش س أمام هذا الموضع ما نصه : « وقد ألّف فيها المصنف تأليفا سماه :

فتح المتعال . وذكر المياثبي في رحلته أنه رأى بالمدينة تأليفا لبعض القرطبيين ،

فيه نحو ٥٥ قصيدة لم يطلع عليه هذا الشيخ ، رحم الله جميعهم » .

بعض ما جرب
من بركتها

ومن بعض ما ذكر في فضلها ، وجرب من نفعها وبركتها ، ما ذكره
أبو جعفر أحمد بن عبد المجيد ، وكان شيخا صالحا ورعا ، قال : حَدَّثْتُ هَذَا الْمِثَالَ
لبعض الطلبة ، فخانني يوما ، فقال لي : رأيت البارحة من بركة هذه النعل
نَجَبًا ، أصاب زوجي وجع شديد كاد يَهْلِكُهَا ، فجعلت النعل على موضع الوجع ،
وقلت اللَّهُمَّ ارِنِي بركة صاحب هذه النعل ، فشفاها الله لِلْحَيْنِ .

وقال أبو إسحاق : قال [محمد] أبو القاسم بن محمد : ومما جرب من بركتها
أَنَّ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مَتَبَرَكًا بِهِ ، كَانَ لَهُ أَمَانًا مِنْ بَعْثِ الْبُغَاءِ ، وَغَلَبَةِ الْعُدَاةِ ؛
وَحِرْزًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ، وَعَيْنٍ كُلِّ حَاسِدٍ ؛ وَإِنْ أَمْسَكَتْهُ الْمَرْأَةُ الْحَامِلُ
بِيَمِينِهَا وَقَدْ أَشْتَدَّ عَلَيْهَا الظَّلَقُ ، تَدَسَّرَ عَلَيْهَا أَمْرُهَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ .

لأبي اليمن بن
عساكر في
مدحها

ولله در الإمام [الشيخ] أبي اليمن بن عساكر رحمه الله حيث قال :
يا منشداً في رسم ربع خالي ومُنَاشِداً لدوَارِسِ الْأَطْلَالِ
دع نَدْبَ آثَارِ وَذِكْرَ مَآثِرٍ لِأَحَبِّ بَنِي بَانُو وَعَصْرِ خَالِي
وَالَيْمُ تَرَى الْأَثَرَ الْكَرِيمَ فُجَبْدَا أَنْ فُزْتَ مِنْهُ بِلُثْمِ ذَا التَّمَثَالِ
أَثَرُ لَهُ بِقُلُوبِنَا أَثَرٌ لَهُمَا شُغْلُ الْخَلِيِّ بِحُبِّ ذَاتِ الْخَالِ
قَبْلَ لَكَ الْإِقْبَالُ نَعْلَى أَخْصِ حَلَّ الْهَلَالِ بِهَا مَحَلٌّ قِبَالِ
أَلْصِقْ بِهَا قَدْبًا يَقْلِبُهُ الْهَوَى وَجَلًّا عَلَى الْأَوْصَابِ وَالْأَوْجَالِ
صَافِخْ بِهَا خَدًّا وَعَقْفَرِ وَجَنَّةً فِي تَرْبِهَا وَجَدًّا وَفَرَطِ تَغَالِ
تَشْفِيكَ حَرَّ جَوَى نَوَى بِجَوَانِحِ فِي الْحَبِّ مَا جَنَحَتْ إِلَى الْإِبْلَالِ
يَا شَبَهَ نَعْلِ الْمُصْطَفَى رُوحِي الْفِدَا لِحُلَاكِ الْأَسْمَى الشَّرِيفِ الْعَالِي
هَمَلْتُ لِمَرَاكِ الْعَيُونِ وَقَدْ نَأَى مَرَّآيَ الْعِيَانِ بِغَيْرِ مَا إِهَالِ
وَتَذَكَّرْتُ عَهْدَ الْعَقِيقِ فَنَآثَرْتُ شَوْقًا عَقِيقَ الْمَدْمَعِ الْمَطَالِ

وَصَبَتْ فَوَاصِلَتِ الْحَنِينَ إِلَى الَّذِي مَا زَالَ بَالِي مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ
أَذْكَرْتَنِي قَدَمًا لَهَا قَدَمُ الْعَلَا وَالْجُودِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِفْضَالِ
أَذْكَرْتَنِي مَنْ لَمْ يَزَلْ ذِكْرِي لَهُ يَعْتَادُ فِي الْأَبْكَارِ وَالْأَصَالِ
لَوْ أَنَّ خَدْيَ يُحْتَدَى لِمِثَالِهَا لَبَلَّغْتُ مِنْ نَيْلِ الْمُنَى آمَالِي
وَلَهَا الْمَفَاخِرُ وَالْمَآثِرُ فِي الدُّنَا وَالْدِّينِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
أَوْ أَنَّ أَجْفَانِي لَوَطَّءَ نَعَالُهَا أَرْضُ سَمْتُ عِزًّا بِذَا الْإِذْلَالِ

وما أحسن قصيدة نسبها الشيخ أبو إسحاق بن الحاج ، للأديب العلامة ولمالك بن المرحل في مدحها
أَبِي الْحَكَمِ مَالِكُ بْنُ الْمَرْحَلِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهِيَ [قَوْلُهُ] :

بُوصِفَ حَبِيبِي طَرَزَ الشَّعْرَ نَازِمُهُ وَنَعَمَ خَدَّ الطَّرْسِ بِالنَّقَشِ رَاقِمُهُ
رَأَوْفٌ عَطُوفٌ أَوْسَعُ النَّاسِ رَحْمَةً وَجَادَتْ عَلَيْهِمُ بِالنُّوَالِ غَمَامُهُ
لَهُ الْحَسَنُ وَالْإِحْسَانُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ فَأَثَارُهُ مَحْبُوبَةٌ وَمَعَالِمُهُ
بِهِ خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ وَكُلُّ فَعَالٍ صَالِحٍ فَهُوَ خَاتِمُهُ
أَحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ حُبًّا لَوْ أَنَّهُ تَقَاسَمَهُ قَوْمِي كَقَفْتِهِمْ مَقَاسِمُهُ (١)
كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ الْوُرُقِ خَفَّاقٌ أَصِيبَتْ قَوَادِمُهُ
أَهْمٌ إِذَا هَبَّتْ نَوَاسِمُ أَرْضِهِ وَمَنْ لِفُؤَادِي أَنْ تَهْبُ نَوَاسِمُهُ
فَأَنْشَقَ مِسْكًا طَيِّبًا فَكَأَنَّهَا نَوَاجِهُ جَاءَتْ بِهِ وَلَطَائِمُهُ
وَمَا دَعَانِي وَالِدَوَاعِي كَثِيرَةٌ إِلَى الشَّوْقِ أَنَّ الشَّوْقَ مِمَّا أَكْتَمُهُ
مِثَالُ لِنَعْلَى مِنْ أَحَبِّ حَدِيثِهِ فَهَا أَنَا فِي يَوْمِي وَابِلَى لَأْتَمُهُ
أَجْرٌ عَلَى رَأْسِي وَوَجْهِي أَدِيمُهُ وَالْتِمُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا أُلَازِمُهُ

[٧٠٩]

(١) كَذَا فِي م . وَفِي ط ، ص : « قَسَائِمُهُ » .

أُمُّثْلُهُ فِي رَجُلٍ أَكْرَمَ مِنْ مَشَى فَتُبَصِّرُهُ عَيْنِي وَمَا أَنَا حَالِمُهُ
أَحْرَكُ مِنْ خَدَّتِي أَحْسِبَ رَفْعَهُ عَلَى وَجْنَتِي خَطُّوا هُنَاكَ يَدَاوِمُهُ
وَمَنْ لِي بِوَقْعِ النَّعْلِ فِي حُرِّ وَجْنَتِي لَمَّا شِ عُلْتُ فَوْقَ النُّجُومِ بَرَّاجِهِ
سَاجِدُهُ فَوْقَ التَّرَائِبِ عُوْدَةُ لِقَلْبِي لَعْلَ الْقَلْبِ يَبْرُدُ جَاحِهِ
وَأَرْبَطُهُ فَوْقَ الشُّثُونِ تَمِيمَةً لَجَفْنِي لَعْلَ الْجَفْنِ يَرْقَأُ سَاجِدِهِ
أَلَا بِأَبِي تَمَثَّلُ نَعْلُ مُحَمَّدٍ أَطَابَ مُحَازِيهِ وَقُدَّسَ خَادِمُهُ
يُودُ هِلَالِ الْأَفْقِ لَوْ أَنَّهُ هَوَى يُزَاحِمُنَا فِي لُتْمِهِ وَنَزَاحِمُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ حُبُّ نَبِيِّنَا يَقُومُ بِأَجْسَامِ الْخَلِيقَةِ لِأَزْمِهِ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا وَغَنَّتْ بِأَغْصَانِ الْأَرَاكِ حَمَائِمُهُ

وللشيخ أبي بكر أحمد بن الإمام أحمد بن الإمام أبي محمد عبد الله القرطبي

وللقرطبي في
ذلك أيضا

في ذلك :

وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لَهَا نَعْلُهَا وَإِنَّا مَتَى نَخْضَعُ لَهَا أَبَدًا نَعْلُهَا
فَضَعُهَا عَلَى أَعْلَى الْمَفَارِقِ إِنَّهَا حَقِيقَتُهَا تَاجٌ وَصُورَتُهَا نَعْلُهَا
بِأَخْصِ خَيْرِ الْخَالِقِ حَازَتْ مَسْرِيَّةَ عَلَى التَّاجِ حَتَّى بَاهَتِ الْمَفْرِقُ الرَّجُلُهَا
مَعَانِي الْمُدَى عَنْهَا اسْتَنَارَتْ لِمَبْصَرِ وَإِنَّ بِحَارِ الْجُودِ مِنْ فِيضِهَا تَحَلُّوْهَا
سَلَوْنَا وَلَكِنْ عَنْ سِوَاهَا وَإِنَّمَا يَهِيمُ بِمَغْنَاهَا الْغَرِيبُ وَمَا يَسْلُوْهَا
فَمَا شَاقْنَا مَذْ رَاقْنَا رَسْمَ عِزِّهَا حَمِيمٌ وَلَا مَالُ كَرِيمٍ وَلَا أَهْلُهَا
شِفَاءٌ لِّذِي سَقَمَ رَجَاءُ لِبَاسِهَا أَمَانٌ لِّذِي خُوفٍ كَذَا يُحْسِبُ الْفَضْلُهَا

[٧١٠]

ورأيت في بعض تمائيل النعل الكريمة مكتوبا بطرفها [الشريف]
ما كتب في بعض
تمائيل النعل
ما نصه :

مثال نعل الرسول خُذْهُ بِحُسْنِ الْقَبُولِ
فَفَضْلُهُ لَيْسَ يُحْصَى لَدَفْعِ كُلِّ مَهْـوَلٍ

وفي وسطها ما نصه :

أُمِرَّغُ فِي الْمَثَالِ بِيَاضَ وَجْهِهِ فَقَدْ عَقَدَ^(١) النَّبِيُّ لَهَا قِبَالَآ
وَمَا حَبَّ الْمَثَالُ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَسْكَنَ حُبُّ مَنْ لَبَسَ الْمَثَالَ

ورأيت مكتوبا بدائرتها ما نصه :

ما كان هذا المثال الكريم في دار فُسْرٍ قَت ، ولا في سفينة فُغْرٍ قَت ، وفيه
خواصٌ عجيبة . انتهى :

وقد حكى غير واحد أن سراج الدين ، سيدى عمر الفاكهاني شارح
العمدة والرسالة ، لما أبصر تمثال النعال المطهرة أغمى عليه ساعة ، ثم أنشد [حين
أفاق متمثلا :
ما وقع للفاكهاني
حيث رأى
تمثال النعل

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد أم الدنيا وما في زواياها
لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

وقد ذكر أن السراج الفاكهاني [لما احتضر أغمى عليه ساعة ، فلقنه بعض
من حضره ، ففتح عينيه وأنشد :

وَعَدَا يَذْكُرْنِي عَهْدًا بِالْحَمَى وَمَتَى نَسِيتُ الْعَهْدَ حَتَّى أَذْكُرَهُ

(١) في م : « جعل » .

نم أَدْخَلَ عَلَيْهِ تَمَثُّالُ النَعْلِ الطَّيِّبَةِ ، فحين شاهدها أغشى عليه ساعة ، ثم
أَنشَدَ الْبَيْتَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ حينَ أَفَاقَ .

وقال الشيخ الرَّحَّالُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدِ الْفُهْرِيِّ :

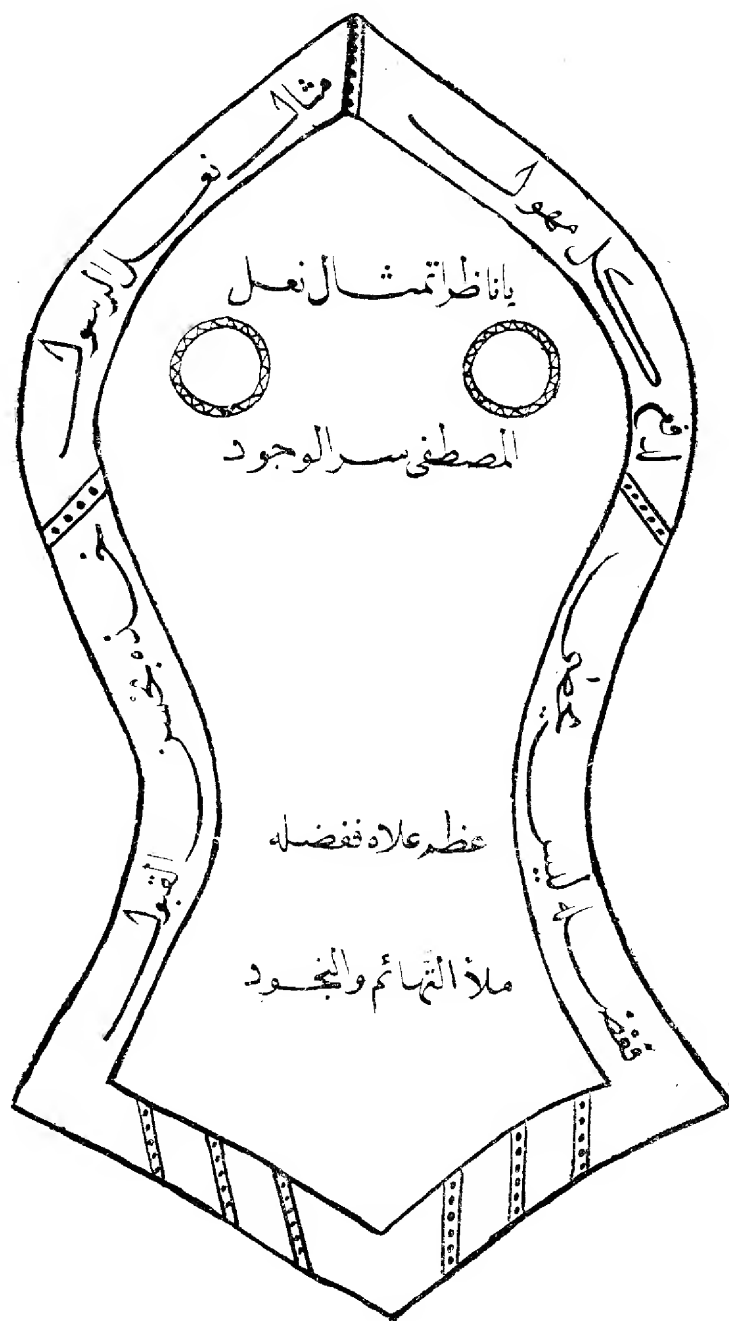
ما قاله ابن رشيد
حين رأى تمثال
النعل في دمشق

لما دخلت دار الحديث الأشرافية برسم رؤية النعل الكريمة للمصطفى
صلى الله عليه وسلم ولتمتها ، حضرتني هذه الأبيات ، فقلت :

هَنِيئًا لَعَنِي أَنْ رَأَيْتُ نَعْلَ أَحْمَدٍ فَيَا سَعْدَ جَدِّي قَدْ ظَفِرَتْ بِمَقْصِدِي
وَقَبَّلْتُهَا أَشْفَى الْغَلِيلِ فَزَادَنِي فَيَا عَجَبًا زَادَ الظُّمَأُ عِنْدَ مُوَرِّدِي [٧١١]
فَلِلَّهِ ذَاكَ اللَّثْمُ لَهَوَ الدُّمْنِ لَمَيَّ شَفَقَةٍ لَمَيًّا وَخَذِي مُوَرِّدِ
وَلِلَّهِ ذَاكَ الْيَوْمَ عِيدًا وَمَعْلَمًا بَتَارِيخِهِ أَرَّخْتُ مُوَلِّدَ أَسْعَدِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ نَشْرُهَا طَيِّبٌ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبُّنَا مُحَمَّدَ

وَلَا بَدَّ أَنْ نَرَسُمَ تَمَثُّالَ النَعْلِ الْكَرِيمَةِ ، تَبَرُّكًا بِصَاحِبِهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ .

وهذه صفتها :



تمثال النعل النبويّة، في دار الحديث الأشرقيّة بدمشق،
كما رسمته النسخة التيمورية

[ما كتب في المثال الأيمن]

وكتبت^(١) في داخله ما نصّه من نظم المؤلف رحمه الله تعالى :

يا ناظرًا تمثال نعل المصطفى سِرِّ الوجود
عَظَمَ علاهُ ففضله مَلَأَ التَّهَامُ والنُّجُودُ
واجهه له خير وسيلة فالله ذو كرم وجود
صلى عليه الله ما أحيا الحيا الروض المجود

ولغيره :

يا مُبْصِرًا تمثال نعل نبيّه قَبْلَ مثال نعاله مُتَذَلَّلًا
واذكر به قدما علت في ليلة الِ إسرًا به فوق السموات العُلا
واخضع له وامسح جبينك ولتكن متبرِّكًا أبدًا به متوسِّلًا^(٢)
والمؤلف رحمه الله تعالى :

يا مُبْصِرًا تمثال نعل قد علا طالع محاسنه وكن متوسِّلًا^(٣)
واخضع له وامسح جبينك ولتكن متبرِّكًا أبدًا به متوسِّلًا^(٢)
واسأل به متضرِّعًا مُسْتَهْطِرًا أَلطاف رَبِّ لم يزل مُتَفَضِّلًا
فهو الوسيلة والملاذ إذا عرا خطب وأخفى الكرب أمرًا مُذْهِلًا
فلكم أَعَاثَ مَنْ استغاثَ بجاهه وأناله أقصى الرام مُسَهِّلًا

(١) رسم الكاتب في ص مثالي النعل ، وكتب بداخلهما هذه الأشعار كلها . واكتفت
م برسم أحد المثاليين وفيه بعض هذه الأشعار ، وقد نقلنا صورة المثال الذي في م .
أما ط فإن الكاتب ترك موضعا خاليا للمثاليين ، ولكنه لم يرسمهما ، ولم يذكر شيئًا
من الأشعار التي كتبت فيهما — نقول : وأكبر الظن أن ما كتب بداخل مثالي
النعل ليس من عمل المؤلف ، لاختلاف النسخ في ذلك .

(٢) هذا البيت مكرر مع البيت الثاني من مقطوعة المؤلف التي تلي هذه الأبيات . ولعله
من زيادة الناسخ هنا كما يدل عليه نسخة ص . (٣) هذا البيت ساقط من ص .

يا خيرَ خلقِ الله دعوةَ حائرٍ لم يتخذْ إلا جنباكَ مَوْثِلا
صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يا نورَ الهدى والآلِ والصحبِ الكرامِ ومن تلا^(١)
ما حَنَّ مُشْتاقٌ لِذِكْرِكَ أوْ غدا لمثالِ نعلِكَ لازِماً ومُقَبَّلًا^(٢)
وللشامى الفقيه من أهل العصر :

أيا ناظرًا مَتَّعْ جفونَكَ ساعةً بأزهارِ هذا الرّوضِ من حيث ما تخطو
وقفْ مَوْقِفَ الإِذْلالِ لله واطْلُبْ بها نعمةَ الرّضوانِ إن راعَكَ السُّخْطُ
فلو لم تكن مقبولة عند ربنا لما كان من هذا النعالِ بها وَخْطُ
والمؤلف :

يا ناظرًا تمثالِ نعلِ المصطفى قَبْلَهُ أَلْفَا
واجعله خيرَ وسيلة تدنِي إلى الرحمن زُلْفَى
واحفظه فهو ذخيرة ما مثلها في الدهر يُلْفَى

وللشامى أيضا :

أيا نعلَ الرّسولِ سموتِ قَدْرًا وفخرى غيرُ خفىٍّ لِلَّيْبِ
أقولُ لمنْ بحبِّي ذابَ شوقًا وأعيًا دائره طِبِّ الطَّيِّبِ
تنشَقُّ مسكُ أنفاسى لِتَشْفَى بهذا الطَّيِّبِ من عَرَفِ الحَبِيبِ

والمؤلف أيضا :

بشرفِ الاختيارِ قد شُرِّفَتْ نَعَالُهُ حَتَّى سَمَا ذَا المِثَالِ
فاسألْ به الرّحمنَ جَلَّ اسْمُهُ فما به يُسألُ إلا أَنالِ
وكيف لا يُدْرِكُ مستمسكُ بالعروة الوثقى المُنَى بالسؤالِ

(١) رواية هذا الشطر في ص : « ما دام نعلك في الشفاعة مقبلا » .

(٢) هذا البيت ساقط من ص .

وجاهُ خير الخلق أعظم به ملاذُنَا في حالنَا والمآل
صلى عليه الله معَ صحبه وآله أجلُّ صحب وآل
انتهى ما كتب في المثال الأيمن .

[ما كتب في المثال الأيسر]

وفي الآخر ما نصّه :

والعُوف :

يا ناظرًا تمثال نعل المصطفى في ذا الكتاب
قبَّله ألفًا ثمَّ زد ماشئت^(١) لا تخش العتاب
واسأل به ربَّ الورى سبحانهُ حُسنَ المآب^(٢)
وله أيضًا مما قاله بكديه :

حاز هذا المثالُ كل المزايا إذ حَكى نعلَ رجلِ خير البرايا
أحمدَ المصطفى المَلاذ إذا ما طرَق الدهرُ أهله بالبلايا
ملجأَ المَئِين طُرًا إذا ما جُمِعَ الناس يوم تُخشى الرزايا
خيرَ الله ، مُجْتَبَاه ، وَمَنْ حَا زَ خِلَالًا حميدة وعطايا
فعليه الصلاة ما قَبَّلَ النَّعْلَ مَشُوقٌ يرومُ تحوُّ الخطايا
وللكاتب المكلاقي من أهل العصر ، يشير إلى هذا المثال الكريم :

انظرُ إلى البدر وتكليفه بين شِرَاكٍ يالهَا من قَبَالٍ
ما صار كالعرجون من تَمَّة إلَّا محَاكاة لهذا المثال

(١) في ص : « إن شئت » . (٢) في ص : « التاب » .

والمؤلف أيضا في ذلك :

| | |
|--------------------|---------------------|
| يا ناظرًا في مثال | أخفى هنا إذا ارتسام |
| يحكى نعالا تنهات | في الحسن دون مُسامي |
| قبَّله تقييلَ عبي | مؤله مُسْتَهَام |
| وضعه من فوق راس | تاجًا لمفريق هام |
| وابسط له حرَّ وجه | ولا تحف من ملام |
| ففضله ليس يحصى | بنثر أو بنظام |
| واحفظ علاه وصنه | وكن له ذا احترام |
| أمان حُرْفٍ وخوف | تيسير كل سرام |
| لا يطرق الدهر دارا | غدت به في اتسام |
| والفلك إن كان فيها | لم يخش من هول طامى |
| فيا لها بركات | شهيرَة في الأنام |
| وكيف لا وهو يُنمى | للهاشمي التهامي |
| خير البرية طرًا | إمام كل إمام |
| أسخى الخليفة كفا | أرعاهم لدهام |
| إنسان عين المعالي | وذو السجايا الجسام |
| عليه أزكى صلاة | بطيية وسلام |
| والصحب والآل طرًا | والتابعين الكرام |
| ما استنشقت نسمات | من عَرَف مسك الختام |

انتهى ما في النعل الكريمة ، واتصل به ما نصه : [

ومما قيل في النعل الكريمة ، قولُ الإمامِ الحديثِ الرَّحَّالِ ، أبي عبد الله
محمد بن جابر الوادي آشي ، ونظمها بدار الحديث الأشرفية من دمشق ، وقد
رأى فيها تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقبَّله وقال :

ولابن جابر
الوادي آشي في
ذلك أيضا

دارُ الحديثِ الأشرفية للشِّفَا فيها رأت عيناى نعلَ المصطفى
ولثمته حتى قنعت وقلتُ يا نفسى أنعمى أكفالك؟ قالت لي: كفى
لله أوقاتٌ وصلتُ بها المُنَى من بعد طيبة ما أجلّ وأشرفا
لك يا دِمَشْقُ على البلادِ فضيلة أيامُك الأعيادُ لازمها الصفا
ولكم بجَيْرُونٍ جرّرتُ ولم أخفُ ذيلًا وبرحُ هوايَ فيها ما اختفى

قلت : ومما أنشدني الفقيه الأريب ، العلامة الأديب ، الحاجّ الرحال ،
أبو الحسن صاحبنا ، سيدى على بن أحمد الشامى الخزرجى لنفسه ، في تمثال
النعل الكريمة ، قوله نفعه الله بقصده ، وكتبه لى بخطه ، وكنت طالبت منه
ذلك ، لأثبتته في هذا الموضوع :

وللشامى الخزرجى
في ذلك

دَعُوا شَفَةَ^(١) المشتاق من سقمها تُشْفَى وترشِف من آثارِ تَرْبِ الهدى رَشْفًا
وتلثم تمثالًا لنعلِ كريمة بها الدهرُ يُستسقى الغمامُ ويُستشَفَى
ولا تصرفوها عن هواها وسؤلها بعدلكم فالعدلُ يمنعها الصِّرفا
ولا تعتَبوها فالعتابُ يزِيدها هُيَما ويسقيها مُدامِ الهوى صِرْفا
جَفَتْها بكتُمِ الدمعِ بُحْلاً جُفُونُها فمنَ لامِها في اللثمِ فهوَ لها أَجْفى

(١) اكتفت م هنا بالإشارة إلى مطالع القصائد والقطوعات التي ذكرها المؤلف لأبي
الحسن على بن أحمد الشامى ومن بعده ، إلى أن وصلت الكلام بالموضوع الأصلي ،
وهو ذكر من استجازة القاضي عياض ، ومنهم الخزرجى .

لئن حُجِبَتْ بِالْبُعْدِ عَنْهُمْ فَهَذِهِ
وإن كان ذاك الخيف موعِد وصلهم
وأغنت بفضل عن مشقة شقة
فحركت الأشواق منا لروضة
زمانا به موصولنا نال عاندا
تولى كمثل الطيف إذ زار في السرى
تقضى وما قضى بلبقى لبانة
فزُلنا وما زُلنا نُعَلِّلُ بِاللَّقا
كأننا وما كنّا نجوبُ مَنَازِلًا [٧١٥]
ولم تبصر الأبصار منها محاسنا
كذلك اللآلى لم تحل عن طباعها
فلا عيش لى أرجوه من بعد بعدهم
ويا حَبْدًا قتل إذ العيش لم نزل
ومن لى بقتل في سبيل الهدى التي
أيا من نأت عنه ديار أحبة
لئن فاتنا وصل بخيف مناهم
وها تيك أزهار الرياض تنفست
وقل للآلى هاموا اشتياقا لبانهم
فصفحة هذا الطرس أبدت نعالهم
تعالوا تغالوا في مديح علائها
ولله قوم في هواها تنافسوا
مكارمهم لم تبقى سترًا ولا سجنًا
فها نفحة الإفضال قرّبت الخيفًا
نكابد مسراها شتاء إلى صيفًا
أباح لنا الإسعاد من زهرها قطفًا
وأكد نعت الوصل من نحوهم عطفًا
وإلا كمثل البرق إذ سارع الخطفًا
أقيس الهوى والحب منا وما استوفى
نفوسا وما تجدى لعل ولا سوفًا
يود بها المشتاق لو رآه حق الحنفا
ولم تسمع الأذان من ذكرها هتفا
متى واصلت يوما تصل قطعها ألفًا
وهيمات يرجو العيش من فارق الإلفا
سيوف الهوى تقرى به القلب والجوفا
وعدنا عليها بالجنان ومن أوفى
فمن بعدهم مثلى على الهلاك قد أشفى
فها نفحة من عرفهم للحشا أشفى
بأنفاسهم فاستشفين بها تُشفى
هلموا لعرف البان نستنشق العرفا
وصارت لها ظرفا فيا حسنه ظرفا
فرب غلوا لم يعب ربه عرفا
وقد عرفوا من بحر أمداحها عرفا
(١٨ — ج ٣ — أزهار الرياض)

وإنا وإن كنا على الكُلِّ لم نطق
لئن قَبَلُوا ألفاً نَزِدْ نحن بعدهم
وإن وُصِفُوا واستغرقوا الوصفَ حَسَبُنَا
وتقبس من أنوارهم قدرَ وسعنا
فمن قال بدرُ التَّمِّ أو طلعةُ الضحى
فما الشمسُ إلا من محاسن ضوئها استنارت
وما البدرُ إلا من مشارق نُورها استمدَّ
ولولاها لما فارق الخسفا
وما طاب نشرُ الروضِ إلا لأنَّه
وما اخضرَّ ترْبُ الأرضِ إلا لأنها
فحلُّوا بها أعلى للمفارق واكحلُّوا
فآثارها تَبْرِي الجوى وتراها
لها الفخر أن سارت بهارِ جل من سرى
وودى لا تخلعُ نعالك واقربن
وأدناه قُرباً قلبَ قوسين ربَّه
نبيُّ به نلنا المُنَى وتواكفت
تعلّى على العلياء حتى أنار من
وقاتل في إظهار أنوار دينه
وكان إلى الهيجاء أوَّلَ سابق
هَوَاهُ هَدَى المادين منه إلى الهدى
وآياته كالزُّهْرِ والزُّهْرِ نفحة
كفَّت كَفَّه الجيشَ اللَّهُمَّ عَنِ الحَيَا

نحاول بعض البعض من بعض ما يلقي
على الألف ما يستغرق العدَّ والألفا
نُجِيلُ رَوْضِ الحُسْنِ من وصفهم طرُفا
وتركض في مضمار آثارهم طرُفا
أو الروضُ يحكيها فما أنصف الوصفا
فما الشمسُ إلا من محاسن ضوئها استنارت
وما البدرُ إلا من مشارق نُورها استمدَّ
ولولاها لما فارق الخسفا
وما طاب نشرُ الروضِ إلا لأنَّه
وما اخضرَّ ترْبُ الأرضِ إلا لأنها
فحلُّوا بها أعلى للمفارق واكحلُّوا
فآثارها تَبْرِي الجوى وتراها
لها الفخر أن سارت بهارِ جل من سرى
وودى لا تخلعُ نعالك واقربن
وأدناه قُرباً قلبَ قوسين ربَّه
نبيُّ به نلنا المُنَى وتواكفت
تعلّى على العلياء حتى أنار من
وقاتل في إظهار أنوار دينه
وكان إلى الهيجاء أوَّلَ سابق
هَوَاهُ هَدَى المادين منه إلى الهدى
وآياته كالزُّهْرِ والزُّهْرِ نفحة
كفَّت كَفَّه الجيشَ اللَّهُمَّ عَنِ الحَيَا

وَرُدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شِعَاعُهَا كَذَا الْبَدْرُ بَعْدَ التَّمِّ صَارَ لَهُ نِصْفَا
 وَجُودُهُ أَجْدَى مِنْ رِيَّاحٍ عَوَاصِفٍ وَمِنْ ذَا يُبَارَى الرِّيحَ إِنْ رَامَتْ الْعَصْفَا
 أُمُولَايَ يَا مُولَايَ يَا خَيْرَ سَيِّدٍ تَسَامَى عَلَى الْأَشْبَاهِ طُرًّا مَعَ الْأَكْفَا
 نَأَتْ بِي عَنْكُمْ مُوَبَقَاتٌ جَنِيَّتَهَا وَعَفْوَكُمْ مِنْ كُلِّ كُفٍّ بِهَا أَكْفَى
 وَهَآنَا عِنْدَ الْبَابِ رَاجٍ وَخَائِبٌ دُمُوعِي لَا تَرَقَا وَشَجْوِي لَا يُطْفَأُ
 أَنَادِيكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نِدَاءُ عُبِيدٍ يَرْتَجِي الْعَفْوَ وَالْعُطْفَا
 وَإِنِّي مُحِقٌّ فِي هَوَى حُبِّكَ الَّذِي يَقُلُّ جَبِيوشَ الْهَمِّ إِنْ أَقْبَلْتُ زَحْفَا
 وَمَا أَنَا فِيهِ كَالَّذِي قَالَ هَازِلًا «أَلَيْلَتُنَا إِذَا أُرْسِلَتْ وَارْدَا وَحَفَا» (١)
 فَآهَا لِنَفْسِي ثُمَّ آهَا إِذَا أَنَا طُرِدْتُ وَيَا لَهَا أُرَدِّدُهَا لَهَا
 وَوَا حَسْرَتَا يَا حَسْرَتَا ثُمَّ حَسْرَتَا إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ لِي كَهَا
 وَلَكِنَّ لِي ظَنًّا جَمِيلًا بِنَسَبَتِي لِأَنْصَارِكُمْ يَا خَيْرَ مَنْ رَاقِبِ الْخِلْفَا
 كَمَا أَنَّ لِي أَيْضًا مُتَمَاتًا بِمِدْحَتِي نَعَالًا بِهَا نِيلُ الْعُلَى وَالْمُنَى يُنْفَى
 أُنْبِي النِّظْمُ يَسْتَوْفِي حِلَالَهَا وَهَلْ يَنْفِي رَوِيَّ بَأَثَارِ الْهَدْيِ أُنْفَى أَوْفَا
 عَلَيْكَ صَلَاةٌ مَا بَدَأَ بَدْرٌ تَمِّمُكَ وَمَا اشْتَقُّ مُشْتَقُّ إِلَى وَعْدِكَ الْأَوْفَى

ومما أنشدنيهِ أيضًا لنفسه في ذلك قوله :

مِثَالُ النِّعْلِ فِي الْقِرْطَاسِ خَطًّا بِسَمْرِ الشَّوْقِ فِي الْأَحْشَاءِ خَطًّا
 وَلَمَّا أَنْ لَثَمْتُ نَدَى ثَرَاهُ وَغَشَى نُورُهُ جَفْنِي وَغَطَّى
 شَمَمْتُ الْوَرْدَ مِنْ رِيَّاهُ يَنْدَى وَشَمْتُ الْبَدْرَ مِنْ عَلِيَّاهُ حَطًّا
 فَفَجَّرَ لِي مِنَ الْعَيْنَيْنِ بَحْرًا وَنَثَرَ مِنْ لَالِي الدَّمْعِ سَمَطًا

[٧١٧]

(١) يريد : قول محمد بن هاني الأندلسي في مطلع قصيدة له :

أَلَيْلَتُنَا إِذَا أُرْسِلَتْ وَارْدَا وَحَفَا وَبَتْنَا نَرَى الْجُوزَاءَ فِي أَذْنَاهَا شَفَا

وروى من جساد الجفن جسمي وأورى من زناد الشوق سقطا
وهز من الهوى عطف ارتياحي لأرض لم تزل تزداد شحطا
وذكرني معاهد لست أنسى الـ مزار بها ولو بالبعد شطا
معاهد خير من ركب المطايا وأكرم من خطا نعلا وأوطا
بأخص رجله الحسنة حازت مفاخر لم يطقها الوصف ضبطا
سمت فسعت لها زهر الداراي لتلثم ركنها وتطوف شوطا
فكلت دونها وسطت عليها ولا بدعا بذاك الفخر يسطى
فمن قال الهلال لها مثال لعمر الله في التمثيل أخطا
ولكن البدور لها نعال تود بها تداس غلا وتخطى
وما طلعت عيون الشمس إلا لطلعتها تروم بها محطا
وما رقصت غصون النبت إلا لعلياها تخط الرأس خطا
وما غنت طيور الأيك إلا عليها تعلى الأغصان حوطا
وما حنت حداة العيس إلا إليها تبتغي أثلا وخطا
وما هبت نسيم المسك إلا لرياحها تنال بذاك خلطا
ولو يوما تخطت أرض جذب لما ألقت بها في الدهر قحطا
يحقق لنا نعظمها جلالا ونربط طرسها بالقلب ربطا
ونفعل الوجوه بها جمالا ونجعلها على الآذان قرطا
وتعتصب المفارق من ثراها وتكتحل العيون بذاك شرطا
نمقر وجنة فيها وخدا ونخضب من سواد الرأس شمطا
وننشد من يعاتب في هواها «إليك خبطت من عشواء خبطا»
ودعنا والهوى إننا أناس يزيد غرامنا بالعتب فرطا

[٧١٨]

وإنا معشر العشاق ممن ونقنع بالخيال مدى الليالى
يرى جور النوى والبعد قسطا وإن طال التباعد أو تشطّا
ولا سيما المثال وقد تبدى وما نعلّا نريد ولا مثالا
نبيّ إن أتيت إلى حماه أنى والدين أصبح فى انقباض
وقاتل فى سبيل الله حتى وعمت دعوة منه وغمت
فطوبى للذى لبيّ سريعا سما لسا العلاء فنال قرّبا
ونودى طأ ولا تخلع نعالا وأيدّه الإله بروح قدس
وعظّمه على الأرسال طرا هُناك حبّاه فرضا من صلاة
وسدده إلى أن جاء موسى إلى أن صير الخمسين خمسا
وأعطاه الشفاعة يوم حشر وتعجز دونها الأرسال طرا
إذ الجبار يبرز بانتهام فيؤذنيه ويألمه بفضل
ومهما رام يشرع فى سجود ويضرع بالدعا ويخرّ هبطا

يرى جور النوى والبعد قسطا
وإن طال التباعد أو تشطّا
يجرّ على علا الجوزاء مرطّا
ولكن من بها العليا تخطى
وجدت سماحة فى الخلق بسطا
فعاناه إلى أن نال بسطا
أزال عن الورى قنطا وضغطا
بآيات الهدى فرسا وقبطا
ويا ويل الذى عن ذاك أبطا
وهم بنعله نزعا وكشطّا
وأبدل من مقام الرّوع بسطا
ومدّ له من التقديس بسطا
ونظّمه بذاك العقد وسطى
بها عنا الذنوب تصيب حبطا
وردّده إليه يروم حطا
وأبقى أجرها والإصر حطا
يقول أنا لها والناس قنطى
وتأتى الناس سبطا ثم سبطا
ويبدى للورى غضبا وسخطا
محامدا مثامها ما قطّ أعطى
ويضرع بالدعا ويخرّ هبطا

يُنَادِ ارفعْ تَطْعَ واشْفَعْ تَشَفَّعْ وقلْ يُسْمَعْ وسلْ ما شئتَ تَعَطَّى
فَيَحْظَى بالمرادِ قَرِيرَ عَيْنٍ بما أولاه تَكْرِمَةً وَغَبَطَا
وَيَصْدُرُ شافِعًا في كُلِّ عَاصٍ مُصِرًّا دَنَسَ الأعمالَ وَخَطَا
وَيُخْرِجُ مَنْ له أدنى نَوَاةٍ من الإيمان والنيرانِ فَرَطَا
جزاه الله عنا كُلَّ خَيْرٍ وحاط به ديار الدين حَوَطَا
ولا زالت صلاة الله تَتَرَى عليه ما بدا بدر وَغَطَّى
تَقْوَحُ وَخَتَمُهَا مِسْكٌ عَمِيقٌ يعمُ عبيْرُهُ آلاَ وَرَهْطَا

وَأُنشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ ، مَكْمَلًا مَا سَقَطَ مِنَ الْحُرُوفِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ
فَرَجِ السَّبْتِيِّ الْمَتَقَدِّمِ الذِّكْرُ قَوْلُهُ جَارِيًا عَلَى طَرِيقَتِهِ :

وللشامى أيضا في
النعال مكملا ما
سقط من كلام
ابن فرج السبتى

[٧١٩]

فافية الوار

وَقَفْتُ عَلَى تَمَثَالٍ نَعْلٍ كَرِيمَةٍ فَأَحْيَيْتُ بِرَسْمِ الشُّوقِ مَنَى مَا أَقْوَى
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِذَا ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا تَمَسَّكْتُ فِي أُخْرَاىَ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى
وَنَادَيْتُهَا يَا نَعْلُ عُدْرًا فَإِنِّى عَلَى مَدْحٍ بَعْضٍ مِنْ مَعَالِيكَ لَا أَقْوَى
وَطِئْتُ رُبُوعًا لِلْهَدَى وَمَغَانِيَا عَلَاها عَلَى الرِّضْوَانِ أُسُسَ وَالْتَقْوَى
وَلَا مَسْتُ رَجُلًا لَوْ يَطَاوَعُ تُرْبُهَا تُرَيَّا السَّمَاءَ شَدَّتْ لَتَقْبِيلِهِ حِتُّوَا

فافية روم المؤلف

لَا لِي نَعَالٍ الْمَجْدِ أَمْثَلًا بِهَا أَهْلًا وَشُكْرًا لِأَنَّ كُنَّا لَتَقْبِيلِهَا أَهْلًا
لَا لِي رَسُولٍ مَسَّهَا جِلْدُ رِجْلِهِ بِهَا وَرَدُ فَنَخْرُ يَعْدُبُ الْغِلَّ وَالْهَلَّا
لَا دَمَ هَذَا الْفَخْرُ أَيْضًا لَأَنَّا بِذِي النَعْلِ أَتَقَدُّنَا الْعَوَايَةَ وَالْجَهْلَا

لَأَقْسَمُ يَا مَنْ لَامَ فِيهَا عَلَيْكَ لَا تَعَذِّبْ بَعْدَ إِلَى (١) ومهلا به مهلا
لَأَنِّي غَرِيقٌ فِي هَوَى حُبِّهَا وَكَمْ مُحِبٍّ يَرَى التَّعْذِيبَ فِي حُبِّهَا سَهْلًا
فَافِيَةِ الْبَاءِ

يُودُّ لِسَانِي أَنْ يُودِّيَ مَذْحَهَا نَعَالًا فَيُعِينَنِي عَلَاهَا وَحَرْفَ الْيَا
يُودِّي وَلَكِنْ لَا يُطِيقُ كَمَالَهَا وَلَوْ أَنَّهُ يَفْلِي بَيَانَ الْوَرَى فَلْيَا
يَمِينًا وَإِنِّي فِي يَمِينِي صَادِقٌ لَحَلِيمَتُهَا صِيغَتْ مِنَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا
يُوقِيتُ سِرَّ الْكُونِ وَالْجُودِ رُصَّةً بِهَا وَطَاءُ التَّقْدِيسِ فَانْتَظَمَتْ حَلِيَا
يُؤَارِي عَلَا رَجُلٍ عَلَى مَنْ مَشَى بِهَا سَلَامٌ مَدَى مَا أَزْدَادُ مِنْ رَبِّهِ وَلِيَا

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ :

هَذِي نَعَالُ أَحْمَدٍ مَوْلَى الْمَقَامِ الْأَحْمَدِ
فَأَشْكُرُ أَخِي إِذْ شِمْتَ مِنْ بَرَقِ سَنَاها وَاحِدٍ
وَكَتَبْتَ حَانَ بُتْرِهَا فَهُوَ شِفَاءُ الْأَزْمَدِ
وَأَرْشُفُ ثَرَاهَا إِنَّهُ يَحْلِي صَدَا الْقَلْبِ الصَّدَى
وَالْمِسْ بِهَاءِ طَرُسِهَا تَنْلُ كَمَالَ الْمَقْصَدِ
وَاقْبِسْ سَنَى مِنْ (٢) نَوْرِهَا فَهِيَ سَرَّاجُ الْهَتْدَى
كَمْ مِنْ إِمَامٍ أَمَّهَا وَهَدَاهُمْ أَقْتَدِ
وَضَمَّهَا لَصْدَرِهِ ضَمَّةٌ ذِي تَوَدُّدِ
لَهَا خَصَّ الْعُلُجَّةُ تُرْبِي عَلَى التَّعَدُّدِ
مَنْ لَمْ تَزَلْ فِي بَيْتِهِ يَحْظَى بِعَيْشِ رَغَدِ

[٢٢٠]

(١) كَذَا فِي ط، ص. وَفِي هَامِشِ ص: «بَتْنِيدِي». وَفِي م: «بَتْنِيدِي».

(٢) فِي الْأَصُولِ: «سَنَا نَوْرَهَا». وَلَعَلَّهُ تَحْرِيفٌ عَمَّا أُبْتَنَاهُ.

يُضْحِي وَيُمْسِي آمِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ غَدٍ
لَا يَمْتَرِي فِي فَضْلِهَا سِوَى غَيْبٍ أَوْ غَدٍ
أَوْ جَاهِلٍ بِقَدْرِهَا أَوْ جَاهِدٍ أَوْ مُلْجِدٍ
كَمْ أَبْرَأْتُ مِنْ عِلَّةٍ مِنْ كُلِّ دَاءٍ مُجْهِدٍ
وَكَمْ أَبَانْتُ مِنْ هُدًى بِنُورِهَا الْمُؤَيَّدِ
وَكَمْ أَبَادْتُ مِنْ عَدَى بِسَيْفِهَا الْمُهَنَّدِ
وَكَمْ أَجَارْتُ مِنْ حَيٍّ بِرُكْنِهَا الْمُشَيَّدِ
فَهِيَ أَمَانٌ خَائِفٍ وَهِيَ رَجَاءُ الْقَصْدِ
وَهِيَ عِمَادُ الْمُلتَجِي وَهِيَ سَمَرُ الرُّوْدِ
بَالِغٍ أَخَى فِي مَدْحِهَا وَاشْدُدْ بِأَزْرِي وَاعْضِدْ
وَانْسُبْ لَهَا مَا شِئْتَ مِنْ نَفَرٍ وَلَا تُفَنِّدْ
وَقِفْ هُنَا هُنَيْهَةً وَفَقَّةً صَبِّ مُسْعِدِ
وَانْهَضْ إِلَى تَقْبِيلِهَا نَهْضَةً خِلِّ مُنْجِدِ
وَقُلْ إِذَا قَبَّلْتَهَا مَقَالَةَ الْمُسْتَنْجِدِ
يَا أَكْرَمَ الْخَالِقِ الَّذِي قَدْ حَازَ كُلَّ سُودِدِ
يَا مُصْطَفَى آثَارِهِ بِهَا الْأَنَامُ تَهْتَدِي
وَيَا مُجِيرَ خَائِفٍ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَعْتَدِي
وَيَا مُجِيبَ سَائِلٍ إِذَا أَتَاهُ يَحْتَدِي
عَبِيدُكُمْ بِبَابِكُمْ حَيْرَانٍ ذَا تَرْدُدِ
وَإِنِّي عُيْلَاكَ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ الْمَعْدَدِ

يَرْفَعُ مِنْ مَدِيحِهِ إِلَى عُلَاكَ الْأُنْجَادِ
 عَقَائِلًا تُنْسَقُ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ زَبَرْجَدِ
 تَخَيُّكِ عُقُودَ جَوْهَرٍ أَقْسَامُهَا مِنْ عَسَجِدِ
 فَامْنُنْ لَهُ بِعَظْفُورَةٍ مِنْ فَضْلِكَ الْمَجْدِ
 وَنَهْلَةٍ مِنْ حَوْضِكَ الْعَذْبِ الَّذِيذِ الْوَرْدِ
 وَوَقْفَةٍ بِرَوْضِكَ الْغَضِّ النَّدَى الْوَرْدِ
 وَزُورَةٍ لِقَبْرِكَ الْمَرْضَى الزَّكِيِّ الْمَأْحَدِ
 وَأَوْبَةٍ لَهُ عَسَى يَكُونُ ثُمَّ سَمَرُ قَدَى
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا بَدَأَ ضِيَاءَهُ الْفَرْقَدِ
 وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ الْأَلَى فَازُوا بِكُلِّ الْأَشْعَدِ
 وَمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ كُلِّ حَبْرٍ أَوْحَدِ
 وَمَنْ تَلَا جَمِيعَهُمْ مَا زُمَ رَكْبٌ أَوْحَدِ
 وَرُدَّدَتْ مِنْ مُنْشِدٍ هَذِي نَعَالُ أَحَدِ

[٧٢١]

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْغَرَضِ :

نَعَالُ بِهَا يُشْفَى الْعَلِيلُ مِنَ الْجَوَى وَتُجَلَّى بِهَا عَنْهُ الْمَصَائِبُ وَالْبَلَوَى
 هِيَ الْبَرَّةُ إِلَّا أَنَّ شُرْبَ دَوَائِمِهَا لَذَائِقُهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلَوَى
 هَلُمُّوا نَقْبِلْ تَرْبَهَا فَعَسَى بِهِ نُحْمَدُ جَمْرًا مِنْ لُظَاهَا الْحَشَى تُسْكُو
 فَرُبَّ عَلِيلٍ جَاءَهُ مِنْ طَبِيبِهِ بِشِيرِنُفَّتٍ عَنْهُ مِنْ حِينِهِ الشُّكْوَى

وله أيضا

وأنشدني أيضا لنفسه في ذلك :

أنت شمس السماء تحطّ رأسًا لهذي النعل من دون النعال^(١)
وتلثم تربها ذلًا لتحطّي بما رامته من رتب المعالي
فقال لها الهلال وقد رآها أنخضع لا محالة للنعال؟
فنادته أبتة ————— دُرّها لا تؤخر فيفتّح المِعَالِي إلى بالمعالي

[وخاطبني في هذا الغرض ، مشيرًا إلى إثبات هذه المنظومات التي سمحت
بها قريحته ، في هذا الموضوع :

وله مخاطبا
المؤلف راغبًا في
إثبات هذه
المنظومات في
أزهار الرياض

أُمُفَّتِي فاس زَندُ شَوْقِي قد وَرَى بخير الوَرَى فانقاد طَوَّعَ عِنان
وَهَبَّتْ صَبَا نَجْدٍ فَهَاجَتْ صَبَابِي وساعدَ بَلْبَالِي بيانُ بَنَانِي
وصالت على أوصال فسكرى فأقلعت عرائسُ غُرْسٍ من جنانِ جَنَانِي
وقد ذوت الأغصان وانتثرت بها أزاهرُها تحكي نثيرُ جُفَانِي
وهذا أَوَانُ الغُرْس جودوا بنقلها لروضِكم تحطّي بنيل أمان [

ولنرجع بعد هذا المقدار إلى ما كنا بصدده ، فإن مثل هذا الغرض لا سبيل
لحصر عدده ، فنقول :

[بين القاضي عياض والزنجشري]

وممن استجازه القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله ولم يجزه :
الزنجشري صاحب الكشف ، سأل الله .

عياض
والزنجشري

(١) في ط ، ص : « انتقال » ، وفي هامش ص : « استعمال » ، وأما محرفتان
عما أبتناه .

وسمعت غير واحد ممن لقيته يُخبر أن القاضي عياضا لما بلغه امتناع الزمخشري من إجازته قال : الحمد لله الذي لم يجعل على يد المبتدع أو فاسق ، أو نحو هذا من العبارات ، والله أعلم .

[٧٢٢] وإمام الزمخشري في العلوم معروفة ، ولكن أعنة القلوب إلى من بيده التوفيق وضده مصروفة . ولا بُد من الإلمام ببعض أحوال هذا الرجل ، الذي اختلفت في أمره الآراء وآنس من جانب البيان والنحو نارا ، وأنكر الحق وقد وضع نهارا ، وذكر بعضهم أنه تاب ويأبى ذلك تصريحه في كشفه بما خاف السنة جهارا ، فإنه لو صح ذلك لحماه ، أو أشهد على نفسه بالرجوع عما قصده فيه وانتجاه ؛ وكثير من الأئمة أغضى عن اعتزاله ، وانتفع بكشافه مع قطع النظر عن موضع التهمة واختزاله .

[بين الحافظ السلفي والزمخشري]

ومن استجازه^(١) فأجازه الإمام الحافظ أبو الطاهر السلفي الأصبهاني ، المتقدم المذكور ، رحمه الله ، فإنه خاطبه في ذلك بما نصه بعد البسملة :
 إن رأى الشيخ الأجل العالم العلامة أدام الله توفيقه ، أن يُجيز جميع سماعته وإجازاته ورواياته ، وما ألّفه في فنون العلم ، وأنشأه من المقامات والرسائل والشعر ، لأحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني ، ويذكر مولده ونسبه إلى أعلى أب يعرفه ، ويُثبت كل ذلك بخطه تحت هذا الاستدعاء ، مضافا إليه ذكر ما صدّقه ، وذكر شيوخه الذين أخذ عنهم . وما سمع عليهم من أمهات المهمات ، حديثا كان أو لغة أو نحو أو بيانا ، فعمل مثابا ؛ وإن تمّ إنعامه بإثبات أبيات قصار ، ومقطوعات في الحكم والأمثال والزهد وغير ذلك ،

(١) الضمير هنا يعود على الزمخشري .